الْمَنهجُ العِلْمِي

لطُلابِ العِلْمِ الشرْعِي

وَبَعْضُ الفَوَائِد والنكَاتِ العِلْمِيةِ

تَـألِيْفُ

ذِيابِ بنِ سَعْدٍ آلِ حَمْدَانَ الغَامِدِيِّ

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا، طَيِّبًا مُبارَكًا فِيْه، القَائِل : "قُلْ هَلْ يَسْتَوي الذِينَ يَعْلَمُوْنَ والذِيْنَ لا يَعْلَمُوْنَ إنما يَتذَكرُ أُلُوا الألْبَابِ"[الزمر٩]، والقَائِل :

"يَرْفَعِ اللهُ الذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُم والذِيْنَ أُتوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ"[المجادلة١١]، والصلاةُ والسلامُ عَلى عَبْدِه ورَسُوْله المبْعُوْثِ رَحْمَةً للعَالمِيْن، القَائِل : "طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلى كُل مُسْلِمٍ"[1]، والقَائِل : "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْـرًا يُفَقِّهْـهُ في الدِّيْن"[2]!

أما بَعْدُ : فإن أوْلى مَا يَتَنَافَسُ فِيْه المتَنافِسُوْنَ، وأحْرَى مَا يَتسابَقُ فِـي حَلَبَتِهِ المتَسابِقُوْنَ : العِلْمُ !، فَهُوَ الكَفِيْلُ الضـامِنُ بِالسـعَادَةِ البَاطِنَـةِ والظاهِرَةِ، والدلِيْلُ الآمِنُ إلى خَيْرَيْ الدنْيا والآخِرَةِ .

وأدَل شَيْءٍ عَلى ذَلِكَ؛ أن اللهَ عَز وجَل قَدِ اخْتَص مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أحَب، فَهَدَاهُم للإيْمَان، ثُم اخْتَص مِنْ سَائِرِ المؤْمِنِيْنَ مَنْ أحَب؛ فَتفَضلَ عَلَـيْهم فَعَلمَهُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ، وفَقهَهُم فِي الدين، وعَلمَهُم التأوِيْلَ، وفَضلَهُم عَلى سَائِرِ المؤْمِنِيْنَ، وذَلِكَ فِي كُل زَمَانٍ وأوَانٍ؛ رَفَعَهُم بالعِلْمِ، وزَيـنَهُم

---

[1] ـ أخْرَجَهُ ابنُ عَدِي في "الكَامِل" (١١٠٧/٣)، والبَيْهَقِي في "المدْخَل" (٣٢٤) وغَيْرُهُما، وهُوَ حَسَـنٌ بشَوَاهِدِه .

[2] ـ أخْرَجَهُ البُخَارِي (٢٧/١)، ومُسْلِمٌ (٩٥/٣) .

بالعِلْمِ، بِهِمْ يُعْرَفُ الحَلالُ مِنَ الحَرَامِ، والحَق مِنَ البَاطِلِ، والضـارُ مِـنَ النافِع، والحَسَنُ مِنَ القَبِيْحِ[1].

* * *

إنه العِلْمُ النافِعُ والعَمَلُ الصالِحُ اللذَان لا سَعَادَةَ للعَبْدِ إلا بِهما، ولا نَجَاةَ لَهُ إلا بسَبَبِهما، فَمَنْ رُزِقَهُما فَقَدْ فَازَ وغَنِمَ، وَمَنْ حُرِمْهُما فَقَدْ خَسِرَ وغَرِمَ، وهُمَا مَوْرِدُ انْقِسَامِ العِبَادِ إلى مَرْحُوْمٍ وَمَحْرُوْم، وبِهما يَتَميزُ البَر مِنَ الفَاجِر، والتقِي مِنَ الغَوي، والمُؤْمِنُ مِنَ المُنَافِق، والظالِمُ مِنَ المَظْلُوْمِ، وهَاكَ حَقّا : "خَصْلَتَان لا تَجْتَمِعَان فِي مُنَافِقٍ : حُسْنُ سَمْتٍ، ولا فِقْـهٌ فِـي الدْين"[2]!

نَاهِيْكَ؛ أن السمَوَاتِ والأرْضَ ما قَامَتا إلا بالعِلْمِ، بَلْ مَا بُعِثَ الرسُلُ، وما أُنزِلَتِ الكُتُبُ، وَمَا فُضلَ الإسْلامُ عَلى غَيْرِه إلا بِهِ، وفَوْقَ ذَلِكَ؛ ما عُبِدَ اللهُ، ولا عُرِفَ الإيْمَانُ مِنَ الكُفْر إلا بِهِ !

---

[1] ـ انْظُرْ "أخْلاقَ العُلَمَاءِ" للآجُري (١٤) بتَصَرفٍ .
[2] ـ أخْرَجَهُ الترْمِذِي (٢٦٨٤)، وهُوَ صَحِيْحٌ .

* * *

فَشَمرْ يا طَالِبَ العِلْمِ، سَائِلاً اللهَ تَعالى : الإرَادَةَ الصادِقَةَ، والعِلْـمَ النافِعَ، واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبهُم بالعِلْمِ والإيْمَان .

فإنه لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ، ولا يُطْلَبُ بالتَمَني والتحَلي، وقَدْ قِيْلَ : مَنْ طَلَبَ الراحَةَ تَرَكَ الراحَةَ!؛ إنها العَزِيْمَةُ الصادِقَةُ، والهِمةُ العَالِيَةُ، ولا يَحْزُنْكَ فَاتِرُ العَزِيْمَةِ، ودَعِي العِلْمِ، فَلَعَلكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَيْهم أسَفًا؟!

فَقَدْ رَأيْنا كَثِيْرًا مِنْ طُلابِ زَمَانِنا قَدِ اسْتَطَابُوا الدعَـةَ، واسْـتَوْطَؤوا مَرْكَبَ العَجْزِ، وأعْفَوْا أنفُسَهُم مِنْ كَد النظَرِ، وقُلُوْبَهُم مِنْ تَعَبِ الفِكْرِ ... فلَعَمْرِي أيْنَ مَنَالُ الدرَكِ بغَيْرِ سَبَبٍ، وأيْنَ نَوَالُ البُغْيَةِ بغَيْرِ آلَةٍ ؟ فإن دُوْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ خَرْطُ القَتَادِ، وبَيْنَ مَا يَتَمَنوْنَ بَرْكُ الغِمَادِ !

* * *

فاعْلَمْ رَعَاكَ الله!؛ إن جَمْهرةً مِنْ أهْلِ العِلْمِ قَدْ حَازُوا قَصَبَ السبْقِ فِي خِدْمَةِ هَذِه الجادةِ العَليةِ، ورَسْمِ بَصَائِرِها لشَادِي العِلْمِ مِنْ خِلالِ تَوَالِيْفَ

عِلْمِيةٍ، ومُصَنفَاتٍ مُسْتَقِلةٍ ... غيْرَ أنِني لَما رَأيْتُ شَأنَهَا بَينَ أهْلِ زَمَانِنا فِي نُقْصَانٍ، ومُدَارَسَتَها فِي نِسْيانٍ، وكَادَ يَذْهَبُ رَسْمُها، ويَعْفُو أثَرُها؛ عِنْدها أحْبَبْتُ أن أرْمِيَ بِحَصَاةٍ في رِيَاضِ العِلْمِ، مُسَاهَمَةً مِني فِي رَسْمِ (المَنهج العِلْمِي) لِطُلابِ العلمِ؛ يَوْمَ نَادَى كَثِيْرٌ مِمنْ تَجِبْ عَلَينا إجَابَتُهُم فِي إحْيَاءِ هَذِه الجَادةِ، وتَبْصِيْرِ مَنَارَاتِها...فعَسَانِي آخُذُ بيَدِ مَنْ رَامَ إرْثَ الأنْبِيَاءِ إلى بَابِ العِلْمِ، بِسَبِيْلٍ قَرِيبٍ، وَنظَرٍ أرِيبٍ، مِما سَيُقربُ الطرِيْقَ لطَالِبِ العِلْمِ المُبْتَدِي، ويُبَصرُ السبِيْلَ للمُنْتَهي، والعَاقِبَةُ للتقْوَى[1].

* * *

وذَلِكَ مِنْ خِلال ثَلاثَةِ مَدَاخِلَ، وأرْبَعَةِ أبْوَابٍ مُخْتَصَرَةٍ، كَمَا يَلِي :

المَدْخَلُ الأولُ : أهَمِيةُ طَلَبِ العِلْمِ الشرْعِي .

---

[1] ـ هُنَاكَ كَثِيْرٌ مِنَ التوَالِيْفِ العِلْمِيةِ الآخِذَةِ بيَدِ طَالِبِ العِلْمِ إلى بَيَان مَنْهَجِ العِلْمِ والمُتَعَلمِ، وفَضَائِله، وعَوَائِله، وطَرَائِقه، وشَرَائِطِهِ، وآدَابِهِ، فَمِنْ جِيَادِها وحِسَانِها : "جَامِعُ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابن عَبْدِ البر، و"الجامِعُ لآدَابِ الراوي" و"الفَقِيْهُ والمُتَفَقهُ" كِلاهُمَا للخَطِيْبِ البَغْدَادِي، و"تَعْلِيْمُ المُتَعلمِ طَرِيْقَ التَعَلمِ" للزرْنُوْجِي، و"أخْلاقُ العُلَماءِ" للآجُري، و"تَذْكِرَةُ السامِعِ والمُتَكَلمِ" لابن جَمَاعَةَ، و"مِنْ أخْلاقِ العُلَماءِ" لمُحَمدِ بن سُلَيْمَانَ، و"مَنَاهِجُ العُلَمَاءِ" لفَارُوقِ السامُرائِي، و"حِلْيَةُ طَالِبِ العِلْمِ" لبكرٍ أبو زَيْدٍ، وهُنَاكَ غَيْرُ مَا ذُكِرَ .

المَدْخَلُ الثاني : فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلى عُلُوْمِ الآلَةِ .

المَدْخَلُ الثالثُ : وفِيْه أرْبَعُ طَلائعَ .

البَابُ الأولُ : وفِيْهِ أرْبَعُ مَرَاحِلَ عِلْمِيةٍ .

البَابُ الثاني : وفِيْهِ خَمْسُ تَنَابِيْه .

البَابُ الثالثُ : وفِيْهِ ثَلاثُ عَزَائِمَ .

البَابُ الرابعُ : وفِيْهِ خَمْسةُ عَوَائِقَ .

والحَمْدُ للهِ رَب العَالَمِيْنَ، والصلاةُ والسلامُ عَلى عَبْدِه ورَسُوْله الأمِيْن!

وكَتَبَهُ

ذِيَابُ بنُ سَعَدٍ آلِ حَمْدَانَ الغَامِدِيُّ

فِي لَيْلَةِ الأحَدِ لعَشْرٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ لِعَامِ ألْفٍ وأرْبَعْمَائَةٍ وخَمْسَةٍ وعِشْرِيْنَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

حُرِّرَ فِي (1425/2/20هـ)

* * *

المَدَاخِلُ العِلْمِيةُ

وفِيْهِ ثَلاثَةُ مَدَاخِلَ

المَدْخَلُ الأولُ : أهَمِيةُ طَلَبِ العِلْمِ الشرْعِي

المَدْخَلُ الثانِي : فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلى عُلُوْمِ الآلَةِ

المَدْخَلُ الثالثِ : وفِيه أرْبعُ طَلائِعَ

المَدْخَلُ الأوَّلُ

أهَمِّيَةُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ

نَعَمْ؛ فإن الناسَ أحْوَجُ إلى العِلْمِ مِنْهُم إلى الطعَامِ والشرَابِ، لا سِـيمَا هَذِه الأيامِ التِي نَطَقَ فِيْها الروَيْبِضَةُ، وَنَعَقَ بَيْنَها غُرَابُ الصـحَافَةِ، مَـعَ نَفَثَاتِ المُرْجِفِيْنَ، وَتَخْذِيْل المُتَعَالِمِيْنَ !

قَالَ اللهُ تَعَالَى :"قُلْ هَلْ يَسْتَوي الذِينَ يَعْلَمُوْنَ والذِيْنَ لا يَعْلَمُوْنَ إنما يَتذَكرُ أُلُوا الألْبَابِ"[الزمر٩]، وقَالَ تَعَالَى : "يَرْفَعِ اللهُ الذِيْنَ آمَنُوا مِـنْكُم والذِيْنَ أُتوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ"[المجادلة١١] .

وعَنْ أبِي الدرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَـلى اللهُ عَلَيْه وسَلمَ يَقُوْلُ : "مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فِيْه عِلْمًا سَهلَ اللهُ لَه طَرِيْقًا إلى الجَنةِ، وإن المَلائِكَةَ لَتضَعُ أجْنِحَتَها لطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وإن العَالِمَ لَيسْتَغْفِرُ لَه مَنْ فِي السمَواتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ حَتى الحِيْتَانَ فِي المَاءِ،

وفَضْلُ العَالِمِ عَلى العَابِدِ كفَضْلِ القَمرِ عَلى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإن العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ، إن الأنبِيَاءَ لَمْ يُوَرِثُوا دِيْنَارًا ولا دِرْهَمًا إنمَا ورثُوا العِلْـمَ، فَمَنْ أخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ"[1]، وقَالَ أيضًا : "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْرًا يُفَقِهْهُ في الدْين"[2]!

قَالَ عَلي بنُ أبِي طَالِبٍ رَضِي اللهُ عَنْه[3]:

النـاسُ فِي جِهَةِ التمْثِيْلِ أكْفَـاءُ — أبُوْهُـم آدَمُ والأم حَـواءُ
نَفْسٌ كنَفْسٍ وأرْوَاحٌ مُشَاكِلَـةٌ — وأعْظُمٌ خُلِقَتْ فِيْهم وأعْضَـاءُ
فإنْ يَكُنْ لَهُم مِنْ أصْلِهم حَسَبٌ — يُفَاخِرُوْنَ بِه فالطِيْنُ والمـاءُ
مَا الفَضْلُ إلا لأهْلِ العِلْمِ إنهُـم — عَلى الهُدَى لِمَن اسْتَهْدَى أدِلاءُ
وقَدْرُ كُل امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُه — وللرجَالِ عَلى الأفْعَالِ أسْمَـاءُ

[1] ـ أخْرَجَهُ أحْمَدُ (١٩٦/٥)، وابنُ مَاجَه (٢٢٥)، وأبو دَاوُدَ (٣٦٤١)، وهُوَ حَسَنٌ بشَوَاهِدِه .
تَنْبِيْهٌ : انْظُرْ لِزَامًا شَرْحَ هَذَا الحَدِيْثِ لابنِ رَجَبٍ الحَنْبَلِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، في رِسَالَتِه "شَرْح حَدِيْثِ أبـي الدرْدَاءِ"، فَفِيْه مِنَ الدرَرِ والجَوَاهِرِ ما يُعْقَدُ عَلَيْها الخَنَاصِرُ، وهُوَ كَذَلِكَ !
[2] ـ أخْرَجَهُ البُخَارِي (٢٧/١)، ومُسْلِمٌ (٩٥/٣) .
[3] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه" لابنِ عَبْدِ البَر (٢١٨/١)، وبَعْضُ المُحَقِقِيْنَ يَنْسِبُ هَذِه الأبْيَـاتِ إلى عَلِي بن أبِي طَالِبٍ القَيْرَوَانِي .
*تَنْبِيْهٌ : العَامةُ تَقُوْلُ :"قِيْمَةُ كُل امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ"، والخاصة تَقُوْلُ : "قِيْمَةُ كُل امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ"!

قَالَ الزهْرِي رَحِمَهُ اللهُ : "العِلْمُ ذَكَرٌ يُحِبهُ ذُكُوْرَةُ الرجَال، وَيكْرَهُهُ مُؤنثُوْهُم"[1].

أرَادَ الزهْرِي رَحِمَهُ اللهُ : أن العِلْمَ أرْفَعُ المَطَالِبِ وأجَلهَا، كَمَـا أن الذكُوْرَ أفْضَلُ مِنَ الإنَاثِ، فألِباءُ الرجَال وأهْلُ التمْيِيْز مِنْهُم يُحِبوْنَ العِلْمَ، ولَيْسَ كالرأيِ السخِيْفِ الذِي يُحِبه سُخَفَاءُ الرجَال، فَضَرَبَ التـذْكِيْرَ والتأنِيْثَ مَثَلاً[2] .

فَعِنْدَها عَلَيْكَ يا هَذَا : بِمُرَافَقَةِ الأمْوَاتِ الذِيْنَ هُم فِي العَالَمِ أحْيَـاءٌ؛ فإنهُم يَدُلوْكَ السبِيْلَ، واحْذَرْ مِنْ مُرَافَقَةِ الأحْيَاءِ الذِيْنَ هُمْ فِـي النـاس أمْوَاتٌ؛ فإنهُم يُضِلوْكَ الطرِيْقَ !

* * *

[1] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه" لابْنِ عَبْدِ البَر (٢٥١/١)، و"الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ (٣٦٥/٣)، و"شَرَفَ أصْحَابِ أهْلِ الحَدِيْثِ" للخَطِيْبِ البَغْدَادِي (٧٠-٧١)، وبَعْضُهم يَنْسِبُها لعَلِي بن أبِي طَالِبٍ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ، انْظُرْ "المَجْمُوْعَ" للنوَوِي (٤١/١) .

[2] ـ انْظُرْ "المُجَالَسَةَ" لأبِي بَكْرٍ الدينَوَرِي (٤٢٦/٣-٤٢٧) بنَحْوِه .

ومِنْ مُسْتَجَادِ مَا قِيْل فِي فَضْل أهْل العِلْمِ، مَا خَطهُ يَـرَاعُ الآجُـري رَحِمَهُ اللهُ؛ إذْ يَقُوْلُ عَنْهُم : "فَضْلُهُم عَظِيْمٌ، وخَطَرُهُم جَزِيْـلٌ، وَرَثَـةُ الأنْبِيَاءِ، وقُرةُ عَيْن الأوْلِيَاءِ، الحِيْتَانُ فِي البِحَارِ لَهُم تَسْتَغْفِرُ، والملائكَـةُ بأجْنِحَتِها لَهُم تَخْضَعُ، والعُلَمَاءُ فِي القِيَامَةِ بَعْدَ الأنْبِيَاءِ تَشْفَعُ، مَجَالِسُهُم تُفِيْدُ الحِكْمَةَ، وبأعْمَالِهم يَنْزَجِرُ أهْلُ الغَفْلَةِ .

هُمْ أفْضَلُ مِنَ العُبادِ، وأعْلى دَرَجَةً مِنَ الزهادِ، حَيَاتُهم غَنِيْمَةٌ، ومَوْتُهم مُصِيْبَةٌ، يُذكِرُوْنَ الغَافِلَ، ويُعَلمُوْنَ الجَاهِلَ، لا يُتَوَقعُ لَهُم بائِقَةٌ، ولا يُخَافُ مِنْهُم غَائِلَةٌ، بِحُسْن تَأدِيبِهم يَتَنَازَعُ المطِيْعُوْنَ، وبجَمِيْل مَوْعِظَتِهم يَرْجِـعُ المقَصرُوْنَ ... !

فَهُم سِرَاجُ العِبَادِ، ومَنَارُ البِلادِ، وقِوَامُ الأمةِ، ويَنَابِيْعُ الحِكْمَةِ، هُمْ غَيْظُ الشيْطَانِ، بِهم تَحْيَا قُلُوْبُ أهْل الحَق، وتَمُوْتُ قُلُوْبُ أهْل الزيْغِ، مَثَلُهُم فِي

الأرْض كَمَثَل النجُوْمِ فِي السمَاءِ، يُهْتَدَى بِها فِي ظُلُمْاتِ البَر والبَحْرِ، إذا انْطَمَسَتِ النجُوْمُ تَحَيرُوا، وإذا أسْفَرَ عَنْها الظلامُ أبْصَرُوا"[1] انْتَهى .

وَمَهْمَا يَكُنْ؛ فَلا تَحْزَنْ يا طَالِبَ العِلْمِ !، عَلى ظُهُوْرِ الجَهْل، وقِلـةِ العِلْمِ، وقَبْض العُلَمَاءِ، واتخَاذِ الناس رُؤوْسًا جُهالاً فَضَلوا وأضَلوا ... فَيَا هَذَا عَلَيْكَ بِزَادِ الأنبِيَاءِ، وغِذَاءِ العُقَلاءِ : عِلْمٌ يَنْفَعٌ، وعَمَلٌ يُرْفَعُ، كَمَا قَالَ تَعَالى "إنمَا يَتقَبلُ اللهُ مِنَ المُتقِيْنَ"[المائـدة٢٧]. وكَذَا : "إلَيْه يَصْعَدُ الكَلِـمُ الطيبُ والعَمَلُ الصالِحُ يَرْفَعُه" [فاطر١٠] ، واعْلَمْ :"إن اللهَ لا يُضِيْعُ أجْـرَ المُحْسِنِيْنَ" [التوبة١٢] .

* * *

وَبَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَكَ يا طَالِبَ العِلْمِ مَخْرَجًا؛ فَكُنْ رَابعَ أرْبَعَـةٍ : عَالِمًا، أو مُتَعَلمًا، أو مُسْتَمِعًا، أو مُحِبا، وأُعِيْذُكَ باللهِ أنْ تَكُنَ الخَـامِسَ فَتهْلَكَ !، وهُوَ مُعَادَاةُ أهْل العِلْمِ، أو بُغْضُهم !

---

[1] ـ انْظُرْ "أخْلاقَ العُلَمَاءِ" للآجُري (١٤ - ١٥) .

وهَاكَ مِنْ شَذَاتِ العِلْمِ وفَضَائِله، مَا قَالَهُ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "تَعلمُوا العِلْمَ فإن تَعلمَه للهِ خَشْيَةٌ، وطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، ومُدَارَسَتُهُ تَسْبِيْحٌ، والبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتعْلِيْمَه لِمَنْ لا يَعْلمُ صَدَقَةٌ، وَبذْلُهُ لأهْلِهِ قُرْبَةٌ!

لأنه مَعَالِمُ الحَلال والحَرَامِ، والأنِيْسُ فِي الوَحْشَةِ، والصاحِبُ فِي الخَلْوَةِ، والدلِيْلُ عَلى السراءِ والضراءِ، والزيْنُ عِنْدَ الأخِلاءِ، والقُرَبُ عِنْدَ الغُرَبَاءِ.

يَرْفَعُ اللهُ بِه أقْوَامًا فَيَجْعَلهُم فِي الخَلْق قُدَاةً يُقْتَدَى بِهم، وأئِمةً فِي الخَلْق تُقْتَص آثَارُهُم، ويُنْتَهَى إلى رَأيِهم، وَترْغَبُ المَلائِكَةُ فِي حُبهم؛ بأجْنِحَتِهم تَمْسَحُهُم، حَتى كُل رَطِبٍ وَيَابِسٍ لَهُم مُسْتَغْفِرٌ، حَتى حِيْتَانُ البَحْرِ وهَوَامُه، وسِبَاعُ البَر وأنْعَامُه، والسمَاءُ وَنُجُوْمُها؛ لأن العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوْبِ مِنَ العَمَى، ونُوْرُ الأبْصَارِ مِنَ الظلَمِ، وقُوةُ الأبْدَانِ مِنَ الضعْفِ.

يَبْلُغُ بِه العَبْدُ مَنَازِلَ الأحْرَارِ ومُجَالَسَةِ المُلُوْكِ، والدرَجَاتِ العُلَى فِي الدنْيا والآخِرَةِ، والفِكْرُ بِه يُعْدَلُ بالصيَامِ، ومُدَارَسَتُه بالقِيَامِ!

بِه يُطَاعُ اللهُ عَز وجَل، وبِه يُعْبَدُ اللهُ عَز وجَل، وبِه تُوْصَلُ الأرْحَامُ، وبِه يُعْرَفُ الحَلالُ مِنَ الحَرَامِ، إمَامُ العَمَلِ، والعَمَلُ تَابِعُه، يُلْهَمُـهُ السـعَدَاءُ، ويُحْرَمُهُ الأشْقِيَاءُ"[1] انْتَهى .

* * *

فَلأجْلِ هَذَا؛ أحْبَبْتُ أنْ أطْرُقَ هَذِه الجَادةَ العِلْمِيـةَ؛ عَسَـانِي أدُلُ السالِكَ، وأحُثُ الهِمَمَ إلى طَرْقِ بَابِ العِلْمِ، دُوْنَمَا إعْيَاءٍ وكِلالٍ، وطُوْلِ ومِلالٍ، قَدْ لا يَحَصلُ شَادِي العِلْمِ فِيْه كَبِيْرَ فَائِدَةٍ، أو عَظِيْمَ عَائِـدَةٍ، أو غَيْرَه مِنْ مَبَاغِي العِلْمِ ومَنَارَاتِه؛ مِما نَدتْ عَنْهُ أكْثَرُ أطَارِيْحِ أهْلِ زَمانِنَـا؛ لِجَهْلِهِم بطَرَائِقِ الطلَبِ ومَدَارِجِهِ الآخِذَةِ بِرِقَابِ العِلْمِ؛ فَنا بَعْدَ فَن، وبَابًا قَبْلَ بَابٍ، وهَكَذا دَوَالَيْكَ مِما هُوَ طَوْعُ يَدَيْكَ !

---

[1] ـ انْظُرْ "أخْلاقَ العُلَمَاءِ" للآجُري (٣٧)، و"جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه" لابن عَبْدِ البَر (١/٥٥)، و"تَذْكِرَةَ السامِعِ والمُتَكَلمِ" لابن جَمَاعَةَ (١١)، و"شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدرْدَاءِ" لابن رَجَبٍ (٣٨) وفِيْهِ ضَعْفٌ .

وهَذَا مَا ذكَرَه ابنُ القَيمِ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِه : "الجَهْلُ بالطرِيْقِ وآفَاتِهـا والمَقْصُوْدِ : يُوْجِبُ التعَبَ الكَثِيْرَ مَعَ الفَائِدَةِ القَلِيْلَةِ"[1]، وقَدْ قِيْلَ : مَنْ لَمْ يَتقِنْ الأصُوْلَ؛ حُرِمَ الوُصُوْلَ"، و"مَنْ حُرِمَ الدلِيْلَ، ضَل السبِيْلَ" !

وعَنْ يُوْنُسَ بن يَزِيْدٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ : " يا يُوْنُسُ ! لا تُكَابِرَ العِلْمَ، فإنمَا هُوَ أوْدِيَةٌ، فأيها أخَذْتَ فِيْه قَبْلَ أنْ تَبْلُغَهُ قُطِعَ بِكَ، ولَكِنْ خُذْهُ مَعَ الليَالِي والأيامِ"[2].

ورَحِمَ اللهُ الزرْنُوجِي حَيْثُ قَطَعَ مِني حَبَائِلَ الرهْبَةِ، ورَفَعَ عِنْدِي آمَالَ الرغْبَةِ، بقَوْله : "فلَما رَأيتُ كَثِيْرًا مِنْ طُلابِ العِلْمِ فِي زَمَانِنا يَجِدوْنَ إلى العِلْمِ ولا يَصِلُوْنَ، ومِنْ مَنَافِعِه وثَمَرَاتِهِ يُحْرَمُوْنَ، لِمَا أنهُم أخْطَئُوا طَرَائِقَه، وتَرَكُوا شَرَائِطَه، وكُل مَنْ أخْطَأ الطرِيْقَ ضَل، ولا يَنَالُ المَقْصُوْدَ قَـل أو جَل"[3] انْتَهى .

---

[1] ـ "الفَوَائِدُ" لابن القَيم (٣٠٤) .

[2] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (٤٣١/١) .

[3] ـ "تَعْلِيْمُ المُتَعلمِ" للزرْنُوجي (٥٣) .

وكذَا مَا هُنَاكَ مِنْ تَنَابِيْهَ تَدْفَعُ بِمِثْلِي، فِي صُنْعِ هَذَا الْمَنْهَجِ، وهُوَ مَـا ذَكَرَهُ شَيْخُ الحَنَابِلَةِ في عَصْرِه ابنُ بَدْرَانَ رَحِمَهُ اللهُ بقَوْلِه : " اعْلَمْ أن كَثِيرًا مِنَ النَاسِ يَقْضُوْنَ السِنِيْنَ الطِوَالَ في تَعَلمِ العِلْمَ، بَلْ في عِلْمٍ وَاحِـدٍ، ولا يُحَصلُوْنَ مِنْه عَلَى طَائِلٍ، ورُبمَا قَضَوْا أعْمَارَهُم فِيْه، ولَمْ يَرْتَقُوا عَنْ دَرَجَةِ المُبْتَدِئِيْنَ، وإنمَا يَكُوْنُ ذَلِكَ لأحَدِ أمْرَيْن :

أحَدَهُما : عَدَمُ الذكَاءِ الفِطْرِي، وانْتِفَاءُ الإدْرَاكِ التصَورِي، وهَذَا لا كَلامَ لَنا فِيْه، ولا فِي عِلاجِه، والثانِي : الجَهْلُ بِطُرُق التعْلِيْمِ"[١].

قَالَ ابْنُ أعْنَسَ[٢]:

مَا أكْثَرَ العِلْمَ ومَا أوْسَعَـه ... مَنَ الذِي يَقْدِرُ أنْ يَجْمَعَـه

إنْ كُنتَ لا بُد لَـهُ طَالِبـًا ... مُحَـاولاً فالْتَمِسْ أنْفَعَـه

* * *

[1] ـ "المَدْخَلُ" لابن بَدْرَانَ (٤٨٥) .

[2] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (٤٣٧/١) .

ومَعَ هَذَا؛ فإنّنا لَمْ نَزَلْ (للأسَفِ !)، نَرَى كَثِيْرًا مِنْ أهْلِ زَمَانِنَا مِمنْ تَصَدرَ للعِلْمِ والتعْلِيْمِ؛ لا يَسْتأخِرُوْنَ سَاعَةً فِي تَعْسِيْرِ العِلْمِ عَلى المُبْتَدِئِيْنَ، وتَنفِيْرِ المُقْبِلِيْنَ عَلَيه، وذَلِكَ بتَفْرِيْعِ أصُوْله، وَتَشْقِيْق فُرُوْعِه، مَا يَقْضِـي بِقَطْعِ الطرِيْقِ عَلى طَالِبِ العِلْمِ، وحِرْمَان الكَثِيْرِ مِنْ دُرُوْسِ العِلْمِ ... فَتَارَةً نَجِدُهُم يَتَوَسعُوْنَ لَهُم فِي المُخْتَصَرَاتِ، وَتَارَةً يَتَكَلفُوْنَ لَهُم فِي الكَلِمَاتِ، فلَكُمُ اللهُ يا طُلابَ العِلْمِ مِنْ زَبَدِ المُدَرسِيْنَ، وسَوَالِبِ المُتَفَيْقِهِيْنَ !

يَقُوْلُ اللهُ تَعَالى : "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِيْنِ مِنْ حَرَجٍ"[الحج٧٨]، وقَالَ أيْضًا عَنْ نَبِيهِ عَلَيْه الصلاةُ والسلامُ : "قُلْ مَا أسْألُكُم عَلَيه مِنْ أجْرٍ ومَا أنا مِنَ المُتَكَلِفِيْنَ"[ص٨٦] .

وقَالَ عَلَيْه الصلاةُ والسلامُ : "إن الدِيْنَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَاد الدِيْنَ أحَدٌ إلا غَلَبَهُ، فسَددُوا وقَارِبُوا وأبْشِرُوا واسْتَعِيْنُوا بالغَدْوَةِ والروْحَةِ وشَيْءٍ مِـنَ الدلْجَةِ"[1]!

---

[1] ـ أخْرَجَهُ البُخَارِي (٣٩) .

وقَالَ الإمَامُ سُفْيانُ الثوْرِي رَحِمَه اللهُ : " إنمَا العِلْمُ عِنْدَنا الرخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ، فأما التشْدِيْدُ فُيحْسِنُه كُل أحَدٍ"[1].

* * *

وهَذَا مَا نص عَلَيْه ابنُ بَدْرَانَ عِنْدَ قَوْلِهِ : " وهَـذَا (الجَهْـلُ بِطُـرُق التعْلِيْمِ) وَقَعَ فِيْه غَالِبُ المُعلمِيْنَ، فَترَاهُم يَأتي إليْهم الطالِبُ المُبْتدِئ ليَتَعلمَ النحْوَ مَثلاً فُيشْغِلُوْنَه بالكَلامِ عَلى البَسْمَلةِ، ثُم عَلى الحَمْدَلةِ أيامًـا بَـلْ شُهُوْرًا، لِيُوْهِمُوْهُ سِعَةَ مَدَارِكِهم، وغَزَارَةَ عِلْمِهم، ثُم إذا قُدرَ لهُ الخَلاصُ مِنْ ذَلكَ، أخَذُوا يُلقنُوْهُ مَتْنًا أو شَرْحًا بِحَوَاشِـيْهِ وحَوَاشِـي حَوَاشِـيْه، وَيحْشُرُوْنَ له خِلافَ العُلمَاءِ، ويُشْغِلُوْنَه بكَلامِ مَنْ رَد عَلى القَائِل، ومَـا أجِيْبَ بِه عَن الرد، ولا يَزَالُوْنَ يَضْرِبُوْنَ له عَلى ذَلِكَ الوَتِر، حَتى يَرْتكِزَ فِي ذِهْنِه أن نَوَالَ هَذَا الفَن مِنْ قَبِيْلَ الصعْبِ الذِي لا يَصِلُ عَلَيْه إلا مَـنْ

[1] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (٧٨٤/١) .

أوْتي الوَلاَيةَ، وحَضَرَ مَجْلِسَ القُرَبِ والاخْتِصَاص، هَذَا إذَا كَانَ المُلقــنُ يَفْهَمُ ظَاهِرًا مِنْ عِبَارَاتِ المُصَنفِيْنَ !"[1] انْتَهى .

فَلا يَضِيْقُ صَدْرَكُ يا طَالِبَ العِلْمِ بِمَا هُنا؛ فَكُل مَا رَسَمْنَاهُ في (المَنْهَجِ العِلْمِي)، لَمْ يَكُنْ زَبَدًا يَقْذِفُه طَيْشُ الفِكْــرِ، أو رَذَاذَاتٍ يَلْفِظُهــا رَأسُ القَلمِ... بَلْ إنها مَعَالِمُ سَلَفِيةٌ، وَتجَارُبُ عِلْمِيةٌ، قَدَ فَرَضَتْها الأمَانَةُ العِلْمِيةُ والنصِيْحَةُ الأخَويةُ، كمَا قَالَه ابنُ بَدْرَانَ رَحِمَه اللهُ : " طُرُقُ التعْلِيْمِ أمْرٌ ذَوْقي، وأمَانَةٌ مُوْدَعَةٌ عِنْدَ الأسَاتِذَةِ، فَمَنْ أداهَا أُثِيْبَ عَلى أدَائِها، ومَــنْ جَحَدَها كَانَ مُطَالَبًا بِهَا"[2] انْتَهى .

* * *

وَمَا أحْسَنَ مَا قَالَهُ الزرْنُوجِي رَحِمَه اللهُ تَعَالى : "ويَنْبَغِي لطَالِبِ العِلْمِ أنْ لا يَخْتَارَ نَوْعَ العِلْمِ بنَفْسِهِ؛ بَلْ يفوضُ أمْرَه عَلى الأسْتَاذِ، فإن الأسْتَاذَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التجَارُبُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ أعْرَفَ بِمَا يَنْبَغِي لِكُل أحَدٍ وَمَا يَلِيْقُ

---

[1] ـ "المَدْخَلُ" لابن بَدْرَانَ (٤٨٥) .
[2] ـ السابِقُ (٤٩١) .

بِطَبِيْعَتِه، وكَانَ الشيْخُ بُرْهَانُ الديْن يَقُوْلُ رَحِمَهُ اللهُ : كَانَ طَلَبَةُ العِلْمِ فِي الزمَنِ الأول يُفَوضُوْنَ أمْرَهُم فِي التَعَلمِ إلى أسْتَاذِهِم، وكَانُوا يَصِلُوْنَ إلى مَقْصُوْدِهِم ومُرَادِهِم، والآنَ يَخْتَارُوْنَ بأنفُسِهِم، فَلا يَحْصُلُ مَقْصُوْدُهُم مِنَ العِلْمِ والفِقْهِ"[1] انْتَهَى .

نَعَم؛ فإنه لا يَهْتَز للعِلْمِ إلا نُفُوْسٌ أبِيةٌ، قَدِ ارْتَاضَتْ عَلى الأنَفَةِ والعِزةِ، وعُلُو الهِمةِ والقَدْرِ، وأنِفَتْ مِنْ مَعَرةِ الجَهْل، ومَرَاتِع الذل والهَوَان، وسَئِمَتْ تِيْهَ الحَيْرَةِ والتَبَعِيةِ المَقِيْتَةِ !

* * *

1 ـ "تَعْلِيْمُ المُتَعلمِ" للزرْنُوجي (٧٩) .

المَدْخَلُ الثَّانِي

فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلَى عُلُوْمِ الآلَةِ

اعْلَمْ (رَحِمَنِي اللهُ وإياكَ !)، إنَ بَعْضَ المُتَصَدرِيْنَ للتعْلِيْمِ والتصْنِيْفِ، قَدْ تَوَسعُوا كَثِيْرًا فِي دُرُوْسِهم العِلْمِيةِ مِنَ العُلُوْمِ الآليةِ تَوَسعًا مَشِيْنًا؛ مِما كَانَ لَهُ أثَرٌ وَتأثِيْرٌ بَالِغَان عَلى عُلُوْمِ الغَايَةِ، مَا جَعَلَ بَعْضَ طُلابِ العِلْـمِ يَقِفُوْنَ فِي مُنْتَصَفِ الطرِيْق، لا عِلْمًا حَصلُوا، ولا فَنا أصلُوا .. !

لأجْلِ هَذَا؛ فاعْلَمْ يَا طَالِبَ العِلْمِ أنني لَمْ أفْتَحْ عَلَيْكَ بَابًا وَاسِعًا مِـنَ العِلْمِ، بِحَسْبِكَ مِنْه البُلْغَةُ، ولَمْ أضَيقْ عَلَيْكَ وَاسِعًا بِحَسْبِكَ مِنه الغَايَـةُ، وذَلِكَ عِنْدَ اقْتِصَارِنا : عَلى بَعْض عُلُوْمِ الآلَةِ الَتِي فِيْها الكِفَايَةُ والمَقْنَعُ، أما عُلُوْمُ الغَايةِ فَلا حَد فِيْها ولا نِهَايةَ !

* * *

وَمَا أحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ العَلامَةُ ابنُ خُلْدُونِ رَحِمَهُ اللهُ فِيْما نَحْنُ بِصَدَدِهِ؛ إذْ يَقُوْلُ : "فأما العُلُوْمُ الَتِي هِيَ مَقَاصِدُ فَلا حَرَجَ فِي تَوَسعِهِ الكلامَ فِيْها،

وَتفْرِيْعِ المَسَائِلَ، واسْتِكْشَافِ الأدِلةِ والأنظَارِ، فإن ذَلِكَ يَزِيْدُ طَالِبَها تَمَكّنًا فِي مَلكَتِه وإيْضَاحًا لِمَعانِيْها المَقْصُوْدَةِ، وأما العُلُوْمُ التِي هِيَ آلةٌ لِغَيْرِها: مِثْلُ العَرَبِيةِ والمَنطِق وأمْثَالِهما؛ فَلا يَنْبَغِي أنْ يُنظَرَ فِيْها إلا مِنْ حَيْثُ هِـي آلةٌ لِذَلِكَ الغَيْرِ فَقَطُ، ولا يُوَسعُ فِيْها الكَلامُ، ولا تُفَرعُ المَسَائِلُ؛ لأن ذَلِكَ يُخْرِجُ بها عَن المَقْصُوْدِ، إذِ المَقْصُوْدُ مِنْها مَا هِي آلةٌ لَهُ لا غَيْـرُ، فكُلمَـا خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ؛ خَرَجَتْ عَن المَقْصُوْدِ، وصَارَ الاشْتِغَالُ بِهَا لَغْوًا، مَعَ مَا فِيْه مِنْ صُعُوْبَةِ الحُصُوْل عَلى مَلكَتِها بِطُوْلِها وكَثْرَةِ فُرُوْعِها، ورُبمَا يَكُوْنُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنْ تَحْصِيْل العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذاتِ لِطُوْل وَسَائِلِها؛ مَـعَ أن شَأنها أهَم، والعُمُرُ يَقْصُرُ عَنْ تَحْصِيْل الجَمِيْع عَلى هَذِه الصوْرَةِ، فَيَكُوْنُ الاشْتِغَالُ بِهَذِه العُلُوْمِ الآلِيةِ تَضْيِيْعًا للعُمُر وشُغُلاً بِمَا لا يُغْنِي!

وهَذَا كَمَا فَعَلهُ المُتأخرُوْنَ فِي صِنَاعَةِ النحْو، وصِنَاعَةِ المَنطِق، لا بَـلْ وأصُوْل الفِقْهِ؛ لأنهُم أوْسَعُوا دَائِرَةَ الكَلامِ فِيْها نَقْلاً واسْتِدْلالاً، وأكْثَرُوا مِنَ التفَارِيْعِ والمَسَائِل بِمَا أخْرَجَها عَنْ كَوْنها آلةً، وصَـيرَها مَقْصُـوْدَةً

بذاتها، وربما يقع فيها لذلك أنظار ومسائل لا حاجة بها في العلوم المقصودة بالذات، فتكون لأجل ذلك من نوع اللغو، وهي أيضًا مضرة بالمتعلمين على الإطلاق، لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بهذه الآلات والوسائل؛ فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد ؟، فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستبحروا في شأنها، ولا يستكثروا من مسائلها، وينبه المتعلم على الغرض منها، ويقف به عنده، فمن نزعت به همته بعد ذلك إلى شيء من التوغل ورأى من نفسه قيامًا بذلك وكفاية به؛ فليختر لنفسه ما شاء من المراقي، صعبًا أو سهلاً، وكل ميسر لما خلق له"[1] انتهى .

* * *

وبعد هذا؛ فيرجى من طلاب العلم الأفاضل العناية بهذا البرنامج عناية كبيرة؛ لأن العمر قصير، والعلم كثير، والزمن يسير؛ وأن يتفيدوا به

---

[1] ـ "المقدمة" لابن خلدون (٦٢٢/١) .

لِحُصُول الفَائِدَةِ المرْجُوةِ؛ كَمَا أننا وَضَعْنَا بَرْنَامِجْنَا (المْنَهجَ العِلْمِي) عَلى مَرَاحلَ أرْبَعٍ مُوَافِقَةً للقُدُراتِ العِلْمِيةِ إنْ شَاءَ اللهُ، مَعَ بَعْض الأضَـامِيْم العِلْمِيةِ، وقَدْ قِيْلَ : ازْدِحَامُ العُلُوْمِ مَضَلةُ الفُهُوْمِ؛ لِذَا لَزِمَ الاعْتِكَافُ عَلَيْه مَا أمْكَنَ إلى ذَلِكَ سَبِيْلاً .

يَقُوْلُ ابنُ عَبْدِ البَر رَحِمَهُ اللهُ : "طَلَبُ العِلْمِ دَرَجَاتٌ وَمَنَاقِلُ ورُتَبٌ، لا يَنْبَغِي تَعَدْيها، وَمَنْ تَعَداها جُمْلةً؛ فَقَدْ تَعَدى سَبِيْلَ السلَفِ رَحِمَهُـمُ اللهُ، وَمَنْ تَعَدى سَبِيْلَهُم عَامِدًا ضَل، وَمَنْ تَعَداهُ مُجْتَهِدًا زَل !"[1].

ومِثْلِه يَقُوْلُ الإمَامُ الزبِيْدِي رَحِمَهُ اللهُ : "يَجِبُ أنْ لا يَخُوْضَ (طَالِبُ العِلْمِ) فِي فَن حَتى يَتَنَاوَلَ مِنَ الفَن الذِي قَبْلَه عَلى التَرْتِيْـبِ بُلْغَتَـه، وَيَقْضِي مِنْهُ حَاجَتَه، فازْدِحَامُ العِلْمِ فِي السمْعِ مَضَلةُ الفَهْمِ .

---

[1] ـ "جَامِعُ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابن عَبْدِ البَر (٢/١٦٦) .

قَالَ تَعالى : "الذِيَن آتَيْنَاهُم الكِتَابَ يَتلُوْنَه حَق تِلاَوتِه"[البقرة١٢١]، أيْ : لا يَتجَاوَزُوْن فَنا حَتى يُحْكِمُوْهُ عِلْمًا وعَمَلاً، فَيَجِبُ أنْ يُقَدمَ الأَهم فالأَهم مِنْ غْيرِ إخْلالٍ فِي الترْتِيْبِ .

وكَثِيْرٌ مِنَ الناس مُنِعُوْا الوُصُوْلَ لتَرْكِهِم الأُصُوْلَ؛ وحَقه أنْ يَكُـوْنَ قَصْدُه مِنْ كُل عِلْمٍ يَتحَراهُ التَبلغَ بِهِ إلى مَا فَوْقَه حَتى يَبْلُغَ النهَايَةَ"[1] انْتَهى.

وقَالَ الزرْنُوْجِي رَحِمَهُ اللهُ : "وَيَنْبَغِي أنْ يَبْتَدِئ بِشَيءٍ يَكُوْنُ أقْرَبَ إلى فَهْمِهِ، وكَانَ الشيْخُ الأُسْتَاذُ شَرَفُ الديْن العُقَيْلِي رَحِمَـهُ اللهُ يَقُـوْلُ : الصوَابُ عِنْدِي فِي هَذا مَا فَعَلَه مَشَايِخُنا رَحِمَهُـمُ اللهُ، فـإنهم كَـانُوا يَخْتَارُوْنَ للمُبْتَدِئ صِغَارَاتِ المبْسُوْطِ؛ لأنه أقْرَبُ إلى الفَهْـمِ والضبْـطِ، وأبْعَدُ مِنَ الملالَةِ، وأكْثَرُ وُقُوْعًا بَيْنَ الناس"[2] انْتَهى .

وقَدْ قِيْلَ : حِفْظُ حَرْفَيْن خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وِقْرَيْن ، وفَهْمُ حَرْفَيْن خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وِقْرَيْن !

---

[1] ـ "شَرْحُ الإحْيَاءِ" للزبِيْدِي (٣٣٤/١) .

[2] ـ "تَعْلِيْمُ المتَعلمِ" للزرْنُوجي (٧٩) .

والوِقْرُ : : الحِمْلُ الثقِيْلُ .

* * *

المَدْخَلُ الثَّالِثُ

طَلائِعُ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ)

هُنَاكَ بَعْضُ الطلائِعِ العِلْمِيةِ، نَسُوْقُها بَيْنَ يَدَيْ كُلِ مَنْ رَامَ السعْيَ حَثِيْثًا وَرَاءَ (المَنْهَجِ العِلْمِي)، وحَسْبُكَ أنها مُقَدَمَاتٌ وَتَنَابِيْهُ سَابِقَةٌ، وَبصَائِرُ سَائِقَةٌ

للطالِبِ قَبْلَ الشرُوْعِ فِي مُتَابَعَةِ ما هُنا مِنْ تَرَاتِيْبَ تَنْظِيْمِيـةٍ، وَمَسَـالِكَ تَوْضِيْحِيةٍ.

لذا؛ يُسْتَحْسَنُ بطَالِبِ العِلْمِ أنْ يَعِيْرَها اهْتِمَامًا، وأنْ يَجْعَلَها لِـ(المَنْهَجِ العِلْمِي) إمَامًا، كُل ذَلِكَ كَيْ يَسْهُلَ عَلَيْه السيْرُ، وَيقْرُبَ مِنْه الخَيْرُ، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ !

ألا لَنْ تَنالَ العِلْمَ إلا بسِتةٍ سَأُنبِئُكَ عَنْ مَجْمُوْعِها ببَيان

ذَكَـاءٌ وحِرْصٌ وُبلْغَـةٌ وإرْشَادُ أُسْتَاذٍ وطُوْلُ زَمَان[1]

* * *

* الطلِيْعَةُ الأوْلى : عَلَى طَالِبِ العِلْمِ؛ أنْ يَجْعَلَ لِكُل مَرْحَلَةٍ مِنْ هَذِه المَرَاحِلِ : سِتةَ أشْهُرٍ؛ رَجَاءَ أنْ يُتِم (المَنْهَجَ العِلْمِي) كَامِلاً فِي سَنَتَيْنِ إنْ شَاءَ اللهُ !، ولَهُ أنْ يُتِمهُ في أقَل مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ أُتِيَ هِمةً عَالِيَـةً، وعَزِيْمَـةً صَادِقَةً، ومِنْ قَبْلُ قَطْعُ العَوَائِقَ، ومَنْعُ الصوَارِفَ !، وقَدْ قِيْلَ :

[1] ـ انْظُرْ "تَعْلِيْمَ المُتَعَلمِ" للزرْنُوجي (٧٠)، وقَدْ عَزَاه لعَلِي بن أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقِيْلَ إنه مَنْسُوبٌ للشافِعِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، مَعَ اخْتِلافٍ فِي اللفْظِ، انْظُرْ "دِيْوَانَه" (١٦٣) .

عَلَى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ   وَتأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصغِيْرِ صِغَارُها   وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيْمِ العَظَائِمُ[1]

وَمَنْ ضَاقَ بِه الزمَنُ، فَلَه أنْ يَمُد حَبْلاً مِنَ الوَقْتِ مَا يُحِيْطُ بِه (المَنْهَجَ العِلْمِي)، "فاتقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُم" [التغ ـ ابن١٦]، "وَمَا أمَرْتُكُم بِشَيْءٍ؛ فَأْتوا مِنْه ما اسْتَطَعْتُم"[2]!

***

* الطَلِيْعَةُ الثانِيَةُ : كَمَا عَلَيْه؛ مُرَاعَاةُ تَرْتِيْبِ مُطالَعَةِ ودَرْسِ هَذِه الفُنُوْنَ بِحَسَبِ الرقُوْمَاتِ التسَلْسُلِيةِ ... اللهُم إذَا كَانَتْ ثَمتُ مَصْلَحَةٌ يَرَاهَـا طَالِبُ العِلْمِ، مِما تَعُوْدُ عَلَيْه بِفَائِدَةٍ مَرْجُوةٍ، أو تَنْشِيْطِ هِمةٍ .

***

* الطَلِيْعَةُ الثالِثَةُ : كَمَا عَلَيْه؛ أنْ يَعْلَمَ أن مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا حَوْلَ الكُتُبِ التِي فِي (المَنْهَجِ العِلْمِي) مِنْ أسْمَاءِ المُحَقِقِيْنَ، وأسْـمَاءِ دُوْرِ النشْـرِ

---

[1] ـ أنظُرْ "دِيْوَانَ المُتَنبي" (٣٨٥) .
[2] ـ أخْرَجَهُ البُخَارِي (٣٥١/١٣)، ومُسْلِمٌ (١٣٣٧) .

والمَطَابِعِ؛ لَيْسَ هُوَ مِنْ بَابِ الإلْزَامِ والالْتِزَامِ؛ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الاخْتِيَـارِ والانْتِقَاءِ، بَعْدَ عِلْمِنا أنها مِنْ أحْسَنِ وأجْوَدِ مَا هُوَ مَوْجُوْدٌ ومُتَدَاوَلٌ بَـيْنَ طُلابِ العِلْمِ، وهَذَا مَا تَقْتَضِيْهِ النصِيْحَةُ الإيْمَانِيةُ، والمَحَبةُ الأخَويةُ .

ومَا لَمْ نَذْكُرْ لَهُ تَحْقِيْقًا أو دَارًا؛ فَحَسْبُنا أنه لَمْ تَنَلْهُ يَدُ تَحْقِيْقٍ مِما هِيَ عَلَى شَرْطِ النصِيْحَةِ .

لِذَا؛ فَأنتَ يَا طَالِبَ العِلْمِ فِي حِلٍ فِيْما تَخْتَارُه وتَرْضَاه مِنْ مُحَققِـيْنَ وطَبَعَاتٍ، واللهُ المُوفقُ والهَادِي إلى سَوَاءِ السبِيْلِ .

* * *

* الطلِيْعَةُ الرابِعَةُ : كَمَا عَلَيه؛ أنْ يَسْتَعِيْنَ باللهِ تَعَالَى فِي شَرْحِ كُتُبِ (المَنْهَجِ العِلْمِي) مِنْ خِلالِ إحْدَى الطرُقِ الأرْبَعِ عَلَى وَجْهِ الترْتِيْبِ :

الأوْلَى : أنْ يَأخُذَ شَرْحَهَا عَلَى أيْدِي أهْلِ العِلْمِ السلَفِيْينَ .

الثانِيَةُ : فإنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلْيأخُذْ شَرْحَهَا عَلَى أيْدِي طُلابِ العِلْمِ النابِغِيْنَ.

الثالِثَةُ : فإنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلْيأخُذْ شَرْحَهَا مِنْ خِلال تَفْرِيْـعِ الأشْـرِطَةِ الشارِحَةِ لَهَا إنْ وُجِدَ، وأخُص مِنْها شُرُوْحَاتِ شَيْخِنا العَلاَمـةِ مُحَمـدٍ العُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ اللهُ .

الرابِعَةُ : فإنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلْيأخُذْ شَرْحَهَا عَنْ طَرِيْق القِـرَاءةِ المُتأنِيـةِ، وسُؤال أهْلِ العِلْمِ عَما يُشْكِلُ عَلَيْه، لاسِيما أن بَعْضَ البِلادِ قَدْ عَزَ فِيْهـا الشيْخُ الرباني، واللهُ المُسْتَعَانُ!

* * *

وأخِيْرًا؛ فَهَاكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ (المَنْهَجَ العِلْمِي) مَعَ مَا كَتَبْنَاهُ لَكَ مِنْ مُقَدَمَةٍ عِلْمِيةٍ، تُبَصرُكَ عَلَى سَوَاءٍ في خِطةٍ تَوْضِيْحِيةٍ؛ عَسَاهَا تَجِدُ لَدَيْكَ قَلْبًا وَاعِيًا، وأذُنًا صَاغِيَةً، ومِنْ قَبْلُ هِمةً عَالِيَةً، وما التوْفِيْقُ إلا باللهِ تَعَالَى .

* * *

البَابُ الأولُ

المَرَاحِلُ العِلْمِيةُ

وفِيْه أرْبعُ مَرَاحِلَ عِلْمِيةٍ

المَرْحَلَةُ الأُوْلَى

١ ـ حِفْظُ جُزْأين "عَم وتَبارَكَ" مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ[1].

٢ ـ حِفْظُ "الأرْبَعِيْنَ النَوَوِيةِ"، مَعَ زِيَادَاتِ ابنْ رَجَبٍ الحَنْبِلي .

٣ ـ قِرَاءةُ "حَاشِيَةِ ثَلاثَةِ الأُصُوْل" للشيْخِ عَبْدِ الرحْمَنِ القَاسِمِ.

٤ ـ قِرَاءةُ "شَرْحِ كَشْفِ الشُبُهَاتِ" لشَيْخِنا مُحَمدٍ العُثَيْمِينَ .

---

[1] ـ قِرَاءةُ وحِفْظُ القُرْآنِ الكَرِيْمِ لا يَكُوْنُ إلا عَنْ طَرِيْقِ التلْقِيْنِ مُبَاشَرَةً !

٥ ـ قِرَاءةُ "قُرةُ عُيُوْنِ المُوَحدِيْنَ" شَرْحِ كِتَابِ التوْحِيْدِ للشيْخِ عَبْدِ الرحْمَنِ بنِ حَسَنَ آلِ الشيْخِ .

٦ ـ قِرَاءةُ "العُبُوْدِيةِ" لابْنِ تَيْمِيَةَ، تَحْقِيْقُ عَلي بنِ حَسَنَ الحَلَبِي.

٧ ـ قِرَاءةُ "المُقَدمَةِ الآجُرومِيةِ" مِنْ خِلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمدٍ العُثَيْمِينَ عَبْرَ الأشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظَةِ تَفْرِيْغِ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ.

٨ ـ قِرَاءةُ "الأُصُوْلِ مِنْ عِلْمِ الأُصُوْلِ" مِنْ خِلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمدٍ العُثَيْمِينَ عَبْرَ الأشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ التعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا، وَتَفْرِيْغِ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ .

٩ ـ قِرَاءةُ "مُصْطَلَحِ الحَدِيْثِ" لشَيْخِنا مُحَمدٍ العُثَيْمِينَ مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ التعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا .

١٠ ـ قِرَاءةُ "أُصُوْلِ التفْسِيْرِ" لشَيْخِنا مُحَمدٍ العُثَيْمِينَ مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ التعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا .

١١ ـ قِرَاءةُ المُجَلدِيْن الأول والثانِي مِنْ كِتَابِ "الشرْحِ المُخْتَصَر عَلَى مَتْن زَادِ المُسْتَقْنِع" للشيْخ صَالِح الفَوْزَان، وهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ رُبع العِبَادَاتِ، طَبْعَةُ دَارِ العَاصِمَةِ.

١٢ ـ قِرَاءةُ "تَيْسِيْر الكَرِيْم الرحْمَن" للشيخ عَبْدِ الرحْمَن السعْدِي

١٣ ـ قِرَاءةُ "حِلْيَةِ طَالِبِ العِلْمِ" لبَكْرٍ أبو زَيْدٍ .

* * *

المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ

١ ـ حِفْظُ خَمْسَةِ أجْزَاءٍ مِنَ القُرْآن الكَرِيْم .

٢ ـ قِرَاءةُ "الصحِيْحَيْن" للبُخَارِي ومُسْلِمٍ، مِنْ خِلال كِتَـابِ "التوْشِيْح شَرْح الجَامِع الصحِيْح" للسيُوْطِي، تَحْقِيْقُ رِضْوَانَ بـن جَامِع، و"الدِيْبَاج عَلَى صَحِيْح مُسْلِم بن الحَجاج" تَحْقِيْـقُ أبِـي إسْحَاق الحُوَيْنِي .

٣ ـ حِفْظُ "عُمْدَةِ الأحْكَامِ" للحَافِظِ عَبْدِ الغَنِـي المَقْدِسِـي الحَنْبَلي، تَحْقِيْقُ مَحْمُوْدِ الأرْنَاؤُوْطِ، أو تِكْرَارُ قِرَاءتِه مِرَارًا .

٤ ـ قِرَاءةُ "فَتْحِ المَجِيْدِ"، للشَّيْخِ عَبْدِ الرحْمَن بن حَسَـنَ آل الشَّيْخ، تَحْقِيْقُ الوَلِيْدِ آل فُرَيانَ .

٥ ـ قِرَاءةُ "شَرْحِ العَقِيْدَةِ الوَاسِطِيةِ" للشَّيْخِ مُحَمدِ بن خَلِيْـلٍ الهَراس، تَحْقِيْقُ عَلَوي السَقاف .

٦ ـ قِرَاءةُ "القَوَاعِدِ المُثْلَى" تَحْقِيْقُ أشْرَفِ بن عَبْدِ المَقْصُوْدِ، مِنْ خِلال شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمدٍ العُثَيْمِينَ عَبْرَ الأشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ القَوَاعِدِ حِفْظًا تَامًا، وتَفْرِيْغ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ .

٧ ـ قِرَاءةُ "الفُرْقَانِ بَيْنَ أوْلِياءِ الرحْمَن وأوْلِياءِ الشَّيْطَانِ" لابن تَيْمِيةَ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ الرحْمَن اليَحْيَ .

٨ ـ قِرَاءةُ "مُتممَةِ الآجُرومِيةِ" للحَطابِ، مَعَ شَرْحِها "الدررُ البهيةُ تَهْذِيبُ الكَوَاكِبِ الدريةِ"[1] لرَاقِمِه .

٩ ـ قِرَاءةُ "القَوَاعِدِ والأُصُوْل الجَامِعَةِ" للشيخ عَبْدِ الرحْمَن السعْدِي، تَحْقِيْقُ الشيْخ خَالِدِ بن عَلي المُشَيقِح .

١٠ ـ قِرَاءةُ " قَوَاعِدِ الأُصُوْل ومَعَاقِدِ الفُصُوْل" لصَفِي الديْن عَبْدِ المُؤمِن الحَنْبلي، مَعَ شَرْحِهِ "تَيْسِيْر الوُصُوْل إلى قَوَاعِدِ الأُصُوْل" للشيْخ عَبْدِ اللهِ الفَوْزَان .

١١ ـ قِرَاءةُ "تَيْسِيْر مُصْطَلَح الحَدِيْثِ" للشيْخ مَحْمُوْدٍ الطحان.

١٢ ـ قِرَاءةُ "حَاشِيَةِ مُقَدمَةِ التفْسِيْر" للشيْخ عَبْدِ الرحْمَن بن مُحَمدٍ القَاسِمِ .

---

[1] ـ انْظُرْهُ قَرِيبًا إنْ شَاءَ اللهُ فِي مَوْقِع (www.thiab.com) .

١٣ ـ قِرَاءةُ المُجَلدَيْن الثالِثِ والرابِع مِنْ كِتَابِ "الشرْحِ المُخْتَصَر عَلَى مَتْن زَادِ المُسْتَقْنِع" للشيْخ صَالِح الفَوْزَان، وهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ رُبْع المُعَامَلاتِ، ورُبْع الجِنَايَاتِ، ورُبْع الشهَادَاتِ، طَبْعَةُ دَارِ العَاصِمَةِ .

١٤ ـ قِرَاءةُ "مَعَالِمِ التنْزيْل" للإمَامِ البَغوي، تَحْقِيْـقُ عُثْمَـانَ ضُمَيْريةِ، وآخَرِيْنَ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : عَدَمِ الوُقُوْفِ مَعَ الإسْرَائِيْلياتِ، واخْتِلافِ القِرَاءاتِ، والمَسَائِل النحَويةِ .

١٥ ـ قِرَاءةُ "الكَلِمِ الطيبِ" لابن تَيْمِيةَ، تَحْقِيْقُ نَاصِرِ الـدِّيْن الألْبَانِي رَحِمَهُ اللهُ، مَعَ مَلْحُوظةٍ : حِفْظِ مَا يُمْكِنُ حِفْظُـه مِـنَ الأحَادِيْثِ لاسِيمَا أذْكَارُ اليَوْمِ والليْلةِ .

١٦ ـ قِرَاءةُ "الفُصُوْل فِي سِيْرَةِ الرسُوْل" لابن كَثِيْرٍ، تَحْقِيْقُ مُحَمدٍ الخَطْرَاوِي، ومُحْيِ الدِّيْن مُسْتُو .

١٧ ـ قِرَاءةُ "تَصْنِيْفِ الناس بَيْنَ الظن واليَقِيْن" لبَكْرٍ أبو زَيْدٍ .

* * *

المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ

١ ـ حِفْظُ عَشَرَةِ أجْزَاءٍ مِنَ القُرْآن الكَرِيْمِ .

٢ ـ حِفْظُ رُبْعِ العِبَادَاتِ مِنْ "بُلُوْغِ المَرَامِ" للحَافِظِ ابـن حَجَـرٍ العَسْقَلانِي، تَحْقِيْقُ سَمِيْر بن أَمِيْن الزهَيْرِي، أو تِكْرَارُ قِرَاءَتِه مِرَارًا، وهُوَ المُجَلدُ الأولُ .

٣ ـ قِرَاءةُ "السنَن الأرْبَعَةِ"، فأما "سُنَنُ أبِي دَاوُدَ"، فَتَحْقِيْقُ مُحَمدِ عَوامَةَ، و"سُنَنُ الترْمِذِي"، تَحْقِيْقُ بَشارِ ابن مَعْرُوْفٍ، و"سُنَنُ النسَائِي (الكُبْرَى) "، تَحْقِيْقُ شُعَيْبٍ الأرْنَاؤُوْطِ وجَمَاعَةٍ، و"سُنَنُ ابْن مَاجَه"، تَحْقِيْقُ بَشارِ ابن مَعْرُوْفٍ .

٤ ـ قِرَاءةُ "الفَتْوَى الحَمَويةِ" لابن تَيْمِيةَ، تَحْقِيْقُ حَمَدَ التوَيْجِرِي .

٥ ـ قِرَاءةُ "شَرْحِ العَقِيْدَةِ الطحَاويةِ" لابن أبِي العِز، تَحْقِيْق التركِي والأرنَاؤوطِ .

٦ ـ قِرَاءةُ "سَبِيْل الهُدَى بتَحْقِيْق شَرْحِ قَطْرِ الندَى وَبَل الصدَى" لمُحَمدِ مُحْي الديْن عَبْدِ الحَمِيْدِ .

٧ ـ قِرَاءةُ "البَلاغَةِ الوَاضِحَةِ" لعَلِي الجَارِمِ، ومُصْطَفَى أمِيْن .

٨ ـ قِرَاءةُ "تَدْرِيْبِ الراوي" للسُيُوْطِي، تَحْقِيْقُ طارق بن عَوَض .

٩ ـ قِرَاءةُ "التأسِيْس فِي أُصُوْل الفِقْهِ" للشيْخ مُصْطَفَى سَلاَمَةَ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : عَدَمِ قِرَاءةِ المُقَدِمَةِ المَنطِقِيةِ .

١٠ ـ قِرَاءةُ "مَعَالِمِ أُصُوْل الفِقْهِ" للشيْخ مُحَمـدِ بـن حَسَـنَ الجِيْزَانِي.

١١ ـ قِرَاءةُ "القَوَاعِدِ الفِقْهِيةِ الكُبْرَى" للشيْخ صَالِح بن غَـانِمٍ السدْلان .

١٢ ـ قِرَاءةُ "فُصُوْلٍ فِي أُصُوْل التفْسِيْر" للشيْخ مُسَاعِدِ بـن سُلَيْمَانَ الطيارِ .

١٣ ـ قِرَاءةُ "تَفْسِيْر القُرْآن العَظِيْمِ" لابن كَثِيْرٍ، تَحْقِيْقُ سَـامِي السلاَمةِ .

١٤ ـ قِرَاءةُ "شَرْح مُنْتَهَى الإِرَادَاتِ" للإِمَامِ الْبُهُوْتي، تَحْقِيْقُ الشيْخ عَبْدِ اللهِ الترْكِي، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : تَضْمِيْن قِـرَاءةِ "الشـرْح

المُمتِع" لشَيْخِنا مُحَمدٍ العُثَيْمِين، نَشْرُ دَارِ ابن الجَوْزي، ، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ .

١٥ ـ قِرَاءةُ "الوَابِل الصيبِ ورَافِع الكَلِمِ الطيبِ" لابن القَـيم، تَحْقِيْقُ إِيَادِ بن عَبْدِ اللطِيْفِ القَيْسِي[1]، مَعَ مَلْحُوظَةٍ : حِفْظِ مَا يُمْكِنُ حِفْظُه مِنَ الأحَادِيْثِ لاسِيمَا أذْكَارُ اليَوْمِ والليْلَةِ .

١٦ ـ قِرَاءةُ "جَامِع بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" للحَافِظِ ابن عَبْـدِ البَـر النمري الأنْدَلُسِي، تَحْقِيْقُ أبي الأشْبَال الزهَيْرِي .

١٧ ـ قِرَاءةُ "مُخْتَصَر مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ" للإمَامِ أحْمَدَ بن عَبْـدِ الرحْمَن المَقْدَسِي، تَحْقِيْقُ الشيْخ عَبْدِ القَادِرِ الأرْنَاؤُوْطِ .

---

[1] ـ هُنَاكَ تَحْقِيْقٌ عِلْمِي آخَر، قَامَ عَلَيْه الأخُ عَبْدُ الرحْمَن ابنُ قَايِدٍ، دَارُ عَالَمِ الفَوَائِدِ .

* * *

المَرْحلَةُ الرَّابِعَةُ

١ ـ حِفْظُ مَا بَقِيَ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ إذا أمْكَنَ .

٢ ـ حِفْظُ أرْبَاع المُعَامَلاتِ، والجِنَايَاتِ، والشهَادَاتِ مِنْ "بُلُـوْغ المَرَامِ" للحَافِظِ ابن حَجَرٍ العَسْقَلانِي، تَحْقِيْقُ سَمِيْر بن أمِيْن الزهَيْري، أو تِكْرَارُ قِرَاءَتِه مِرَارًا، وهُوَ المُجَلدُ الثانِي .

٣ ـ قِرَاءةُ "الشرِيْعَةِ" للإِمَامِ الآجُري، تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ بن عُمَـرَ الدمَيْجِي .

٤ ـ قِرَاءةُ "التدْمُرِيةِ" لابن تَيْمِيةَ، مَعَ شَـرْحِها "التوْضِـيْحَاتِ الأثَرِيةِ" لفَخْرِ الديْن بن الزبَيْر .

٥ ـ قِرَاءةُ "شَرْحِ الأصْفَهانِيةِ" لابن تَيْمِيةَ، تَحْقِيْقُ مُحَمدِ بن عَوْدَةِ السعَوي .

٦ ـ قِرَاءةُ الاثْنَيْ عَشَرَ مُجَلدًا الأُوْلَى مِنْ "مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى" لابن تَيْمِيةَ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : تَجَاوُز مَا قَرَأه طَالِبُ العِلْمِ سَالِفًا مِما هُو ضِمْنُ الفَتَاوَى .

٧ ـ قِرَاءةُ "مِنْهَاجِ السنةِ النَبَويةِ" لابن تَيْمِيةَ، تَحْقِيْقُ مُحَمدِ بن رَشَادِ بن سَالِمٍ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : عَدَمِ الوُقُوْفِ كَثِيْرًا عِنْدَ المَسَـائِلِ المَنْطِقِيةِ لاسِيما التي في أول الكِتَابِ .

٨ ـ قِرَاءةُ "النحْو الوَافِي" لعَباس بن حَسَن، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : عَدَمِ قِرَاءةِ التفْصِيْل والزيَادَةِ مِنْ كُل صَفْحَةٍ مِنه إلا للحَاجةِ العِلْمِيةِ .

٩ ـ قِرَاءةُ "رَوْضَةِ الناظِرِ وجُنةِ المُناظِرِ" لابن قُدَامَةِ المَقْدِسِـي الحَنْبلِي، تَحْقِيْقُ عَبْدِ الكَرِيْمِ بن عَلِي النمْلَةِ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : عَـدَمِ قِرَاءةِ المُقَدمَةِ المنْطِقيةِ، ومَعَ تَضْمِيْن قِرَاءةِ "مُذكَرَةِ أُصُوْل الفِقْـهِ" لمُحَمدٍ الأمِيْن الشنْقِيْطِي، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ .

١٠ ـ قِرَاءةُ "الإتقَان فِي عُلُوْمِ القُرْآن" للسيُوْطِي، تَحْقِيْقُ مُصْطَفَى البُغَا.

١١ ـ قِرَاءةُ "المغْنِي" للفَقِيْهِ الحنْبَلِي أَبِي مُحَمدٍ ابـن قُدَامَـةَ المَقْدَسِي، تَحْقِيْقُ الشيْخ عَبْدِ اللهِ التركِي، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : تَضْـمِيْن قِرَاءةِ "مَجْمُوْع الفَتَاوَى" لابن تَيْمِيةَ، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ، ابْتِدَاءً مِنَ المجَلدِ الحَادِي والعِشْرِيْنَ إلى النهَايَةِ .

١٢ ـ قِرَاءةُ "فَتْحِ القَدِيْرِ" للشوْكَانِي، تَحْقِيْقُ الشيْخِ عَبْدِ الرحْمَنِ بن عُمَيْرَةَ .

١٣ ـ قِرَاءةُ "الآدَابِ الشرْعِيةِ" للفَقِيْهِ الحَنْبَلِي مُحَمدِ بن مُفْلِحٍ المَقْدَسِي، تَحْقِيْقُ الشيْخِ شُعَيْبٍ الأرْنَاؤُوْطِ، وعُمَرَ القَيامِ .

* * *

البَابُ الثانِي

الفَوَائِدُ والتنْبِيهَاتُ

وفيه خمس تنابيه

فوائد وتنبيهات

هناك بعض الفوائد والتنابيه؛ كان على طالب العلم أن يأخذها بعين الاعتبار؛ حتى يتسنى له الطريق، ويستبين له (المنهج العلمي) حذو القذة بالقذة إن شاء الله !

* التنبيه الأول : أن طالب العلم هو صاحب القرار لاختيار ما يوافق قدراته العلمية من إحدى المراحل الأربع، كما له حق التنقل،

واخْتِيَارُ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا مِنْ مَجْمُوْعِ هَذِه المَرَاحِل، شَرِيْطَةَ أنْ يَكُوْنَ قَدْ أتقَنَ المَرْحَلةَ الأُوْلى والثانِيَةَ، أو مَا يُقارِبُها مِنَ المُتُوْنِ المُخْتَصَرَةِ .

وأضِفْ هُنَا أمْرًا مِنَ الأهَمِيةِ بِمَكَانٍ : وهُوَ أنْ يَعْلَمَ طَالِبُ العِلْمِ بأن المَرْحَلتَيْن الأُوْلتَيْن هُنَا؛ لهِي مِنْ أهَم المَرَاحِل العِلْمِيةِ فِي "البَرْنَامِجِ العِلْمِي" فَعَليْهُما المُعْتَمَدُ (بَعْدَ اللهِ) لِفَهْمِ مَا سِوَاهُمَا، وهُمَا المَوْرِدُ الصافِي الذِي يَصْدُرُ الطالِبُ مِنْهُمَا، فَلا تَعْجَلَن اجْتِيَازَهُمَا، ولا تَسْتَثْقِلَن مُدَارَسَتَهُما !

* * *

* التَنْبِيْهُ الثانِي : أن طَالِبَ العِلْمِ إذَا تجَاوَزَ مَرَاحِلَ (المَنْهَجِ العِلْمِي) الأرْبَعِ، فإننَا نَدْفَعُ بِهِ (ومَنْ هَذِه حَالُه) أنْ يَحْمَدَ اللهَ تَعَالى، وأنْ يلْزَمَ الجَادةَ فِي الاسْتِقَامَةِ عَلى مَنْهَجِ السلَفِ عَقِيْدَةً ومَنْهَجًا، وأنْ يَأخُذَ بآدَابِ الطلَبِ، وسَنَنِ العِلْمِ والحِلْمِ، وخَفْضِ الجَنَاحِ، ودَمَاثَةِ الأخْلاقِ، وأنْ يَتَدَثرَ بِثِيَابِ التوَاضُعِ، وسِمَةِ أهْلِ العِلْمِ، فَذَلِكَ المُتَنَاهِي فِي

الفَضْل، العَالِي فِي ذُرَى المَجْدِ، الحَاوِي قَصَبَ السبْق، الفَائِزُ بِخَيْـر الدارَيْن، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى !

قَالَ الشافِعِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : "يَنْبَغِي للفَقِيْهِ أنْ يَضَعَ التُرَابَ عَلَى رَأسِهِ تَوَاضُعًا للهِ، وشُكْرًا لَهُ"[1].

* * *

* التَنْبِيْهُ الثَالِثُ : أنْ يَرْفَعَ طَالِبُ العِلْمِ رَأسًا بعَمَل مَا عَلِـم، وأنْ يَصْبِرَ عَلَى الدعْوَةِ إلى اللهِ تَعَالَى، إذِ الصبْرُ شَرْطٌ فِي نَيْل كُل عَزِيْـزٍ وغَالٍ .

ومِنْ مَحَاسِن الشعْر فِي الصبْر، مَا قَالَهُ ابنُ هِشَامٍ النحْوي رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ يَصْطَبِرْ للعِلْمِ يَظْفَرْ بنَيْلِـهِ   وَمَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى البَذْل
وَمَنْ لَمْ يُذَل النفْسَ فِي طَلَبِ العُلا   يَسِيْرًا يَعِشْ دَهْرًا طَوِيْلاً أخَا ذُل[2]

---

[1] ـ انْظُرْ "سِيَرَ أعْلامِ النبَلاءِ" للذهَبِي (١٠/٥٣) .
[2] ـ انْظُرْ "صَفَحَاتٍ مِنْ صَبْر العُلَمَاءِ" لأبِي غُدةٍ (١٥٣) .

فَلا يَرَاكَ اللهُ يَا طَالِبَ العِلْمِ إلا : مُتَعَلمًا أو عَــامِلاً، مُجَاهِــدًا أو مُجْتَهِدًا، كَمَا قَالَ ابنُ القَيمِ رَحِمَهُ اللهُ : " فإذَا اسْتَكْمَلَ (العَبْدُ) هَذِه المَرَاتِبَ الأرْبَعَ (العِلْمَ، والعَمَلَ بِهِ، والدعْوَةَ إليه، والصبْرَ عَلَيه)؛ صَارَ مِنَ الربانِييْنَ؛ فإن السلفَ مُجْمِعُوْنَ عَلَى أن العَالِمَ لا يَسْتَحِق أنْ يُسمى رَبانِيا؛ حَتى يَعْرِفَ الحَق، وَيَعْمَلَ بِهِ، وُيعَلمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وعَمِلَ وعَلمَ؛ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيْمًا فِي مَلَكُوْتِ السمَوَاتِ"[1] انْتَهى .

قَالَ سُفْيَانُ الثوْرِي رَحِمَهُ اللهُ : "العِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَل، فإنْ أجَابَهُ وإلا ارْتَحَلَ"[2] .

وعَنْ أيوْبَ السخْتِيَانِي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : قَالَ لِي أبو قِلابــةَ : "إذَا أحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فأحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، ولا يَكُنْ هَمكَ أنْ تُحَــدثَ

---

[1] ـ لاشك أن الأمة الإسلامية هذه الأيام لهي أحوج إلى جهاد عدوها الصائل (أمريكا وحلفائها) "زَادُ المَعَادِ" لابن القَيمِ (٣/١٠) .

[2] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (١/٧٠٧) .

بِهِ"[1]، وقَالَ الشعْبِي رَحِمَهُ اللهُ : "كُنا نَسْتَعِيْنُ عَلى حِفْظِ الحَدِيْثِ بالعَمَلِ بِهِ"[2].

وأُعِيْذُكَ باللهِ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ عِلْمِ المُنَافِقِ!، وقَدْ قِيْلَ : "عِلْمُ المُنَافِقِ فِي قَوْلِه، وعِلْمُ المُؤْمِنِ فِي عَمَلِه"[3]، فاللهَ اللهَ :"زَيِّنُوا العِلْمَ، ولا تَتَزَيَّنُوا بِه"[4].

* * *

* التَّنْبِيْهُ الرابِعُ : اعْلَمْ إن العِلْمَ نِصْفَان .

* نِصْفٌ : مَا حَوَتْهُ قَمَاطِرُ العِلْمِ؛ ابْتِدَاءً بالوَحْيَيْن (الكِتَابِ والسنةِ) وَمَا تَخَرجَ مِنْهُما، أو حَامَ حَوْلَهُما، وانْتِهَاءً بِمَا تَضَمَنَه "المَنْهَجُ العِلْمِي" مِنْ تَنَابِيْهَ وعَزَائِمَ ... إلخ .

* ونِصْفٌ : هُوَ قَوْلُكَ فِيْمَا لا تَعْلَمُ : لا أعْلَمُ، لا أدْري !

---

1 ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (١/٦٥٣-٦٥٤) .
2 ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ" لابْن عَبْدِ البَر (١/٧٠٩) .
3 ـ انْظُرْ "اقْتِضَاءَ العِلْمِ العَمَلَ" للخَطِيْبِ البَغْدَادِي (٣٨) .
4 ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (١/٦٦٥)، و"الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ (٦/٣٩٩) .

يَقُوْلُ أبو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللهُ : "قَوْلُ الرجُلِ فِيْما لا يَعْلَمُ : لا أعْلَمُ، نِصْفُ العِلْمِ"[1].

فَقَدِ اتفَقَتْ كَلِمَةُ أهْلِ العِلْمِ أن العَالِمَ إذَا أخْطأ : (لا أدْري) فَقَدْ أصِيْبَتْ مَقَاتِلُهُ، فَحَذَارَ حَذَارَ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ تَنكبِ سَنَنِ أهْلِ العِلْمِ السالِفِيْنَ فِيْما لا عِلْمَ لَكَ فِيْه، بأنْ تَقُوْلَ : لا أدْري، فَمَا أبْرَدَها اليَوْمَ عَلى الكَبِدِ، ومَا أحَرهَا يَوْمَ المَرد !

فإنْ كَانَ العِلْمُ (بِـ لا أدْري) نِصْفَ العِلْمِ، فَهي لَعَمْرُكَ الجَهْـلُ كُلُّهُ إذَا جُهِلَتْ !

* * *

قَالَ الراجِزُ[2] :

فإنْ جَهِلْتَ مَـا سُئِلْتَ عَنْهُ ولَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْـمٌ مِنْهُ
فَـلا تَقُـلْ فِيْه بِغَيْرِ فَهْـمِ إن الخَطأ مُزْرٍ بأهْـلِ العِلْمِ

[1] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ" لابْن عَبْدِ البَر (٢/٨٤٢) .
[2] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ" لابْن عَبْدِ البَر (٢/٨٤٢) .

وقُـلْ إذَا أعْيَاكَ ذَاكَ الأمْرُ: مَـالِي بِمَا تَسْألُ عَنْهُ خَبَرُ
فَذَاكَ شَطْرُ العِلْمِ عَن العُلَمآ كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُوْلُ الحُكَمآ

قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ : "كَانَ ابنُ عَباسٍ يَقُوْلُ : إذَا أخْطأَ العَالِمُ لا أدْرِي أصِيْبَتْ مَقَاتِلُهُ"، وبِمِثْلِهِ قَالَ كَثِيْرٌ مِنَ السلَفِ الصالِحِ[1].

* * *

فلا تَكُنْ كَمَنْ قِيْلَ لَهُ[2]:

جَهِلْتَ فَعَادَيْتَ العُلُوْمَ وأهْلَهَـا كَذَاكَ يُعَادِي العِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُه
ومَنْ كَانَ يَهْوَى أنْ يُرَى مُتَصَدرًا وَيَكْرَهُ "لا أدْرِي" أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُه

* * *

قَالَ ابنُ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللهُ : "لَوْ كَتَبْنا عَنْ مَالِكٍ : لا أدْرِي، لَمَلأنا الألْوَاحَ"[3].

---

[1] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيان العِلْمِ" لابن عَبْدِ البَر (٢/٨٣٩)، و"تذْكِرَةَ السامِعِ والمُتكلمِ" لابن جَمَاعَـةَ (٤٢)، و"الفَقِيْه والمُتفَقه" للخَطِيْبِ البَغْدَادِي (٢/١٧٢) .

[2] ـ انْظُرْ "أدَبَ الدنْيا والدِّيْن" للمَرْدَاوِي (٤٢) .

[3] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيان العِلْمِ" لابن عَبْدِ البَر (٢/٨٣٩) .

وعَنْ أبِي الذيال رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : "تَعَلمْ لا أدْري، فإنكَ إنْ قُلتَ : لا أدْري، عَلمُوْكَ حَتى تَدْري، وإنْ قُلتَ : أدْري، سَـألُوْكَ حَتـى لا تَدْري!"[1].

وهَذا الإمامُ الآجُري رَحِمَهُ اللهُ نَرَاهُ يُحَذرُ أهْلَ العِلْمِ مِنْ تَرْكِ "لا أدْري" فِيْما لا عِلمَ لَهُم بِه، بِقَوْله : "وأما الحُجةُ للعَالِمِ يُسْـألُ عَـن الشيْءِ لا يَعْلمُه فَلا يَسْتَنْكِفُ أنْ يَقُوْلَ : لا أعْلمُ، إذا كَانَ لا يَعْلمُ، وهَذَا طَرِيقُ أئمةِ المُسْلِمِيْنَ مِنَ الصحَابَةِ ومَنْ بَعْدَهُم مِنَ أئمةِ المُسْلِمِيْنَ. اتبَعُوا فِي ذَلِكَ نَبِيهُم صَلى اللهُ عَليْه وسَلمَ؛ لأنه إذا كَانَ سُئِلَ عَـن الشيْءِ مِما لَمْ يَتقَدمْ لَهُ فِيْه عِلْمُ الوَحْي مِنَ اللهِ عَز وجَل فَيقُوْلُ : "لا أدْري" .

[1] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيان العِلْمِ" لابْن عَبْدِ البَر (٢/٨٤٢) .

وَهَكَذَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَتَقَدَمْ لَهُ فِيْه عِلْمٌ أنْ يَقُوْلَ : اللهُ أعْلَمُ، ولا عِلْمَ لِي بِه، ولا يَتَكَلفْ مَا لا يَعْلَمُه، فَهُوَ أعْذَرُ لَهُ عِنْدَ اللهِ، وعِنْدَ ذَوِي الألْبَابِ"[1] اْنْتَهَى .

* * *

* التَّنْبِيْهُ الخَامِسُ : فإنني أهْمِسُ وأهَمْهِمُ فِي أُذُنِ طَالِبِ العِلْمِ (إسْرَارًا لا جِهَارًا) : أن طَالِبَ العِلْمِ إذا أتقَنَ مَرَاحِلَ (المَنْهَجِ العِلْمِي) الأرْبَعِ، مَعَ مَا هُنَالِكَ مِنْ التَنَابِيْهِ، والفَوَائِدِ، والعَزَائِمِ المَرْقُوْمَةِ فِي مَثَانِي (المَنْهَجِ العِلْمِي)؛ فَهُو أهْلٌ للفَتْوَى، والتصَدر للدرْس والتَعْلِيْمِ، وإني عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشاهِدِيْن، واللهُ خَيْرُ شَاهِدًا وحَافِظًا!

* * *

[1] ـ اْنظُرْ "أخْلاقَ العُلَمَاءِ" للآجُري (١٠٨) .

الْبَابُ الثَالِثُ

الْعَزَائِمُ الْعِلْمِيةُ

وَفِيْهِ ثَلاثُ عَزَائِمَ

العَزَائِمُ العِلْمِيَّةُ

فإننا نُوْصِي كُل مَنْ ائْتم بِمَا رَسَمْنَاهُ فِي (المَنْهَج العِلْمِي) بأنْ لا يَنسَ نَصِيْبَهُ مِنْ هَذِه العَزَائِم العِلْمِيةِ التِي جَادَتْ بِهَا النصِيْحَةُ الإِيْمَانِيةُ، لأن العِلْمَ رَحِمٌ بَيْنَ أهْلِهِ، وذَلِكَ مِنْ خِلال ثَلاثِ عَزَائِمَ :

* العَزِيْمَةُ الأوْلَى : فإنَنا نُوْصِي مَنْ تَجَاوَزَتْ قُدُرَاتُه العِلْمِيةُ المَرَاحِلَ الأرْبَعَ كَمَا هِي فِي ثَوْبِ (المَنْهَج العِلْمِي) بأنْ يَقْرَأ هَذِه الكُتُبَ لعُمُوْمِ الفَائِدَةِ، وعَظِيْمِ العَائِدَةِ، وهُوَ مَا وَقَعَ عَلَيْها اخْتِيَارُنَا بَعْدَ النظَر والتمْحِيْص؛ لأنهُ "لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتى يُحِب لأخِيْهِ مَا يُحِب لنَفْسِه"[1]:

١ ـ قَراءةُ "فَتْح البَارِي" لابن حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ .

٢ ـ قَراءةُ "شَرْح مُسْلِمٍ" للنوَوِي رَحِمَهُ اللهُ .

---

[1] ـ أخْرَجَهُ البُخَارِي (١/٥٦)، ومُسْلِمٌ (٤٥) .

٣ ـ قراءةُ "اقْتِضَاءِ الصرَاطِ المُسْتَقِيْمِ" لابن تيْمِيةَ رَحِمَـهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشيْخ نَاصِرِ العَقْل .

٤ ـ قراءةُ "إعْلامِ المُوَقِعِيْنَ" لابن القَيمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشيْخ مَشْهُوْر بن حَسَن .

٥ ـ قراءةُ "إغَاثَةِ اللهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشيْطَان" لابن القيمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشيْخ الألبَانِي رَحِمَهُ اللهُ .

٦ ـ قراءةُ "مَدَارِج السالِكِيْنَ" لابن القيمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْـقُ عَبْدِ العَزِيْزِ الجليل .

٧ ـ قراءةُ "الاعْتِصَامِ" للشاطِبِي رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْـقُ الشـيْخ مَشْهُوْر بن حَسَن.

٨ ـ قراءةُ "أضْوَاءِ البَيان" للعَلامَةِ الأمِيْنِ الشنْقِيْطِي رَحِمَهُ اللهُ .

٩ ـ قراءةُ "رَسَائِلَ ودِرَاسَاتٍ فِي الأهْوَاءِ والافْتِرَاق والبِـدَع ومَوْقِفِ السلَفِ مِنْها" للشيْخ نَاصِرِ العَقْل .

١٠ـ قِرَاءةُ "ظَاهِرَةِ الإرْجَاءِ" لشَيْخِنَا العَلاّمَةِ سَفَر بن عَبْـدِ الرحْمَن الحَوَالِي.

١١ـ قِرَاءةُ "مَوْقِفِ ابن تَيْمِيةَ مِنْ الأشَـاعِرَةِ"، و"القَضَـاءِ والقَدَرِ" و"الحُكْمِ بغَيْرِ مَا أنْزَلَ اللهُ" كُلها لشَيْخِنَا المُحَـررِ عَبْـدِ الرحْمَن المَحْمُوْدِ، مَعَ مُرَاعَاةِ قِرَاءةِ الجُزْءِ الثالِثِ مِنْ "مَوْقِفِ ابْـن تَيْمِيةَ" بتَدَبرٍ وتَأملٍ .

١٢ـ قِرَاءةُ "المُوَالاةِ والمُعَادَاةِ" للشيْخ مِحْمَاسِ الجُلْعُوْدِ .

١٣ـ قِرَاءةُ "الجِهَادِ والقِتَال" للشيْخ مُحَمدِ بن خَيْر هَيْكَلٍ .

١٤ـ قِرَاءةُ "البِدَايَةِ والنهَايَةِ" لابن كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْـقُ الشيْخ عَبْدِ اللهِ التركِي .

١٥ـ قِرَاءةُ "الدرَرِ السنيةِ" لأئمةِ الدعْوَةِ، جَمْعُ الشيْخ عَبْدِ الرحْمَن القَاسِمِ رَحِمَهُ اللهُ .

١٦ ـ قِرَاءةُ "مُقَدِمَةِ ابنِ خُلْدُوْنٍ" لعَبْدِ الرحْمَنِ بنِ مُحَمدٍ بنِ خُلْدُوْنٍ رَحِمَهُ اللهُ .

١٧ ـ قِرَاءةُ "عَوْدَةِ الحِجَابِ" للشيْخِ مُحَمدٍ ابـنِ إسْـمَاعِيْل المُقدمِ.

١٨ ـ قِرَاءةُ "الاتجَاهَاتِ الوَطَنِيةِ" للشيْخِ مُحَمدٍ بنِ مُحَمدٍ بنِ حُسَيْنٍ .

١٩ ـ قِرَاءةُ "أبَاطِيْلَ وأسْمَارٍ" لشَيْخِ العَرَبِيةِ مَحْمُوْدٍ شَـاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٠ ـ قِرَاءةُ "حَاضِرِ العَالَمِ الإسْلامِي" للشيْخِ جَمِيْلٍ المِصْرِي رَحِمَهُ اللهُ .

٢١ ـ قِرَاءةُ "صَفَحَاتٍ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ"[1] للشيْخِ عَبْدِ الفَتاحِ أبو غُدةَ رَحِمَهُ اللهُ .

[1] ـ تَنْبِيْهٌ : أما مَا ذَكَرَهُ أبو غُدةَ فِي (الجَانِبِ السابِعِ) مِنْ كِتَابِه هَذَا، وهُوَ التبَتلُ وَتَرْكُ الزوَاجِ رَغْبَةً فِـي العِلْمِ والتفَرغُ لأجْلِه، فَلَيْس مِنْ جَادةِ السنةِ؛ بَلْ هُوَ خِلافُ السنةِ وفِعْلِ السلَفِ والفِطْرَةِ، فهو مُسْتَدْرَكٌ !

٢٢ ـ قِرَاءةُ "جَوَاهِرِ الأدَبِ فِي أدَبياتِ وإنْشَاءِ لُغَةِ العَـرَبِ" لسَيدِ أحْمَدَ الهَاشِمِي، مَنْشُوْرَاتُ مُؤسسَةِ المَعَارِفِ .

٢٣ ـ قَراءةُ "النهَايَةِ فِي غَرِيْبِ الحَدِيْثِ" لابنِ الأثِيرِ رَحِمَهُ اللهُ.

٢٤ ـ قَراءةُ "المِصْبَاحِ المُنِيرِ" للفَيوْمِي رَحِمَهُ اللهُ .

* * *

كَمَا أُوْصِي نَفْسِي وإياكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ؛ بألا تَـنْسَ نَصِـيْبَكَ العِلْمِي، وزَادَكَ الإيْمَانِي مِنْ قِرَاءةِ وجَرْدِ كُتُبِ أئِمةِ السلَفِ؛ فَهي واللهِ السمْعُ والبَصَرُ، فَهي قِبْلَةُ العِلْمِ النافِعِ، والعَمَلِ الصالِحِ ... فَحَرَامٌ عَلَى شَادِي العِلْمِ أنْ يَتَبَصر عِلْمًا دُوْنَها، أو يَتَسَمعَ عَمَـلاً غَيْرَها !

وَمَهْمَا يَكُنْ؛ فَهَذِه شَذَاتٌ سَلَفِيةٌ تُنبؤُكَ بِمَا وَرَاءها، فَخُـذْهَا بِقُوةٍ، واشْدُدْ عَلَيْها المِئْزَرَ؛ فإن مِثْلَها تُعْقَدُ عَلَيهـا الأنَامِـلُ، واللهُ حَسْبِيَ وهُوَ نِعْمُ الوَكِيْل !

* ومِنْ هَذِه الكُتبِ (لا كُلها) :

١ ـ كُتبُ حَافِظِ المَغْرِبِ ابن عَبْدِ البَر (٤٦٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيمَا كِتَابُه "التمْهِيْدُ"، و"الاسْتِيْعَابُ فِي مَعْرِفَةِ الأصْحَابِ" تَحْقِيْقُ عَادِل مُرْشِدٍ.

٢ ـ كُتبُ حَافِظِ المَشْرِق الخَطِيْبِ البَغْدَادِي (٤٦٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيمَا كِتَابُه "الكِفَايَةُ في مَعْرِفَةِ أُصُوْل عِلْمِ الروَايَةِ"، تَحْقِيْقُ إبْرَاهِيْمَ الدمْيَاطِي، و"تَارِيْخُ دَارِ السلامِ" تَحْقِيْقُ بَشار مَعْرُوْفٍ.

٣ ـ كُتبُ الحَافِظِ الفَقِيْه ابن قُدَامَةَ (٦٢٠هـ) رَحِمَـهُ اللهُ، لاسِيمَا كِتَابُه "المُغْنِي" و"الكَافِي"، كِلاهُمَا تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ التركِي، و"رَوْضَةُ الناظِر" تَحْقِيْقُ عَبْدِ الكَرِيْمِ النمْلَةِ .

٤ ـ كُتبُ الحَافِظِ الفَقِيْه النوَوِي (٦٧٦هـ) رحِمَهُ اللهُ، لاسِيمَا كِتَابُه "المَجْمُوْعُ"، و"شَرْحُ صَحِيْح مُسْلِمٍ"، و"رِيَاضُ الصـالِحِيْنَ" تَحْقِيْقُ الألْبَانِي .

٥ ـ كُتبُ الحَافِظِ الذهَبِي (٧٤٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيمَا كِتَابُه "سِيَرُ أعْلامِ النبَلاءِ" تَحْقِيْقُ شُعَيْبٍ الأرْنَاؤُوطِ وجَمَاعَةٍ، و"تَـارِيْخُ الإسْلامِ" تَحْقِيْقُ بَشار مَعْرُوْفٍ.

٦ ـ كُتبُ الحَافِظِ ابن كثيرٍ (٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِـيمَا كِتَابُه "التفْسِيْرُ" تَحْقِيْقُ سَامِي السلامَةَ، و"البِدَايَةُ والنهَايَةُ" تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ التركِي.

٧ ـ كُتبُ الحَافِظِ ابن رجبٍ (٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِـيمَا كِتَابُه "فَتحُ البَارِي شَرْحُ صَحِيْحِ البُخَارِي" تَحْقِيْقُ طَارِق بن عوض، و"ذَيْلُ الطَبقَاتِ" تَحْقِيْقُ شَيْخِنَا عَبْدِ الرحْمَن العُثيْمِيْنَ، و"جَـامِعُ العُلُوْمِ والحِكَمِ" تَحْقِيْقُ شُعَيْبٍ الأرْنَاؤُوطِ، وعَبْدِ اللهِ التركِي .

٨ ـ كُتبُ الحَافِظِ ابن حَجَرٍ (٨٥٢هـ) رَحِمَـهُ اللهُ لاسِـيمَا كِتَابُه "فَتحُ البَارِي شَرْحُ صَحِيْحِ البُخَارِي"، و"التلْخِيْصُ الحَبِيْرُ"، و"تَهْذِيْبُ التهْذِيْبِ".

٩ ـ كُتبُ الحَافِظِ الشوْكَانِي (١٢٥٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيمَا كِتَابُه "فتْحُ القَدِيْر" تحْقِيْقُ عَبْدِ الرحْمَن بن عُمَيْرَةَ، و"نَيْلُ الأوْطَارِ".

١٠ ـ كُتبُ الإمَامِ الصنْعَانِي (١١٨٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيمَا كِتَابُه "سُبُلُ السلامِ" تَحْقِيْقُ طَارِق بن عوضٍ.

١١ ـ كُتبُ العَلامَةِ الحَافِظِ الأصُوْلي الشنْقِيْطِي (١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيمَا كِتَابُه "أضْوَاءُ البَيَانِ".

* * *

ومِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ؛ فَعَلَيْكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ باقْتِنَاءِ وقِرَاءةِ جَمِيْعِ كُتبِ شَيْخ الإسْلامِ ابن تَيْمِيةَ (٧٢٨هـ)، والإمَامِ الحَافِظِ ابن القَيمِ (٧٥١هـ)، والإمَامِ مُحَمدِ بن عَبْدِ الوَهابِ (١٢٠٦هـ) رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى جَمِيْعًا.

* وكذا كُتبُ شَيْخِنا العَلامَةِ عَبْدِ العَزِيْز ابن بـازٍ، وشَـيْخِنا العَلامَةِ مُحَمدٍ الصالِح العُثَيْمِيْنَ، ومُحَدثِ الشامِ العَلامَةِ مُحَمدٍ بن نَاصِر الدِيْن الألْبَانِي رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالى .

* * *

* العَزِيْمَةُ الثانِيَةُ : إننَا نُوْصِي طَالِبَ العِلْمِ المُبْتَدِئ والمُنْتهي عَلى حَد سَوَاءٍ؛ بأنْ يَكُوْنَ لَهُ (وِرْدٌ عِلْمِي) فِي كُل سَنَةٍ أو سَنَتَيْن عَلى أقَل تَقْدِيْرٍ وأضْعَفِ حَالٍ، وذَلِكَ بِدَوَامِ النظَرِ والقِـرَاءةِ لـبَعْض الكُتُبِ العِلْمِيةِ التِي لا يَسَعُ طَالِبُ العِلْمِ أنْ يَجْهَلَها أو يَتجَاهَلَها، لاسِيما مِمنْ تَصَدرَ للفَتْوَى والتعْلِيْمِ، ورَامَ التألِيْفَ والتحْقِيْقَ ... !

فَدُونَكَهَا؛ كُتُبًا عِلْمِيةً، وكُنُوْزًا عَلِيةً، فاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَيْها، ولا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْها، فمِنْها المُبْتَدَى وإلَيْها المُنْتَهَى بَعْدَ الكِتَابِ والسنةِ، وكُتُبِ سَلَفِ الأمةِ المُحَققِيْنَ :

* قِرَاءةُ "القُرْآن الكَرِيْمِ"، أو مُرَاجَعَةُ حِفْظِهِ (مِرَارًا) .

* قِرَاءةُ (الصحِيْحَيْنِ) أو مُرَاجَعَةُ حِفْظِهما .

* قِرَاءةُ "بُلُوْغِ المَرَامِ" لابنِ حَجَرٍ، تَحْقِيْقُ الزهَيْري، أو مُرَاجَعَـةُ حِفْظِه.

* قِرَاءةُ "مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى" لابنِ تَيْمِيةَ .

* قِرَاءةُ "فَتْحِ المَجِيْدِ"، لعَبْدِ الرحْمَنِ آل الشيْخِ، تَحْقِيْقُ الوَلِيْدِ آل فُرَيانَ .

* قِرَاءةُ "شَرْحِ العَقِيْدَةِ الطحَاويةِ" لابنِ أبِي العِزِ، تَحْقِيْق التُرْكِي والأرَناؤوطِ .

* قِرَاءةُ "تَفْسِيْرِ القُرْآنِ العَظِيْمِ" لابنِ كَثِيْرٍ، تَحْقِيْقُ سَامِي السلاَمَةِ.

* قِرَاءةُ "المُغْنِي" لابنِ قُدَامَةَ المَقْدِسِي، تَحْقِيْقُ الشيْخِ عَبْـدِ اللهِ التُرْكِي .

* قِرَاءةُ "زَادِ المَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ العِبَادِ" لابنِ القَيمِ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ القَادِرِ الأرْنَاؤوْطِ، وشُعَيْبٍ الأرْنَاؤوْطِ .

* قِرَاءةُ "رَوْضَةِ الناظِرِ وجُنةِ المُنَاظِرِ" لابنِ قُدَامَةِ المَقْدَسِي الحَنْبَلِي، تَحْقِيْقُ عَبْدِ الكَرِيْمِ النمْلَةِ، و"مَعَالِمِ أصُوْلِ الفِقْهِ" للشيْخِ مُحَمدِ بـن حَسَنَ الجِيْزَانِي .

* قِرَاءةُ "تَدْرِيْبِ الراوِي" للسُيُوْطِي، تَحْقِيْقُ طَارِق بن عَوَضٍ .

* قِرَاءةُ "سَبِيْلِ الهُدَى بتَحْقِيْقِ شَرْحِ قَطْرِ النَدَى وبَل الصـدَى" لمُحَمدِ مُحْي الدِيْن عَبْدِ الحَمِيْدِ أو "الدرَرِ البهيةِ تَهْذِيْبِ الكَوَاكِبِ الدريةِ" لرَاقِمِه .

* * *

* العَزِيْمَةُ الثالِثَةُ : فإنَنا نُوْصِي عَامةَ المُسْلِمِيْنَ مِنْ غَيرِ طُلابِ العِلْـمِ الشرْعِي مِمنْ لا يَعْلَمُوْنَ كَثِيْرًا مِنْ مَعَالِمِ وحَقَائِقِ الديْنِ[1]، بأنْ يَأخُـذُوا بِهَذِه العَزِيْمَةِ الأخَوِيةِ، ومَا ذَاكَ إلا أن أعْدَاءَ الديْنِ لَمْ يَزَالُوا يَنفِثُوْنَ سُمُوْمَ

[1] ـ أقْصِدُ بالعَامةِ هُنا : مَنْ يُحْسِنُ القِرَاءةَ والكِتَابَةَ مَعْ فَهْمٍ صَحِيْحٍ : كالمُشْـتَغِلِيْنَ بـالعُلُوْمِ الطبِيْعِيـةِ، والرياضِيةِ، والفَلَكِيةِ، كالطب، والهَنْدَسَةِ وغَيْرِها، وكَذَا أهْلُ المِهَنِ والحِرَفِ والصنَاعَاتِ .

أفْكَارِهِم، ويَبْسُطُوْنَ ألسِنَتَهُم فِي عَقِيْدَةِ وأخْلاقِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ .

لاسِيما أننا نَعِيشُ أيامًا حَالِكَةً مُهْلِكَةً؛ حَيْثُ ظَهَرَ فِيْهَا الجَهْلُ، وقَلَّ العِلْمُ، ونَدَّ الحَق، وعَلا البَاطِلُ، وكَثُرَ الخَبَثُ ...!

لأجْلِ هَذا وغَيْرِه؛ فَقَدْ حَقَّتِ النصِيْحَةُ الإيْمَانِيةُ بأنْ تَشْمَلَ العَامةَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، وذَلِكَ بِرَسْمِ قَاعِدَةٍ عِلْمِيةٍ عَامةٍ يَشْتَرِكُ فِيْهَا الجَمِيْعُ، مِما سَتَكُوْنُ إنْ شَاءَ اللهُ عَوْنًا لِعُمُوْمِ المُسْلِمِيْنَ لِفَهْمِ دِيْنِهِم، وحِصْنًا مَنِيْعًا مِنْ عَادِيَةِ الأفْكَارِ المَشْبُوْهَةِ، والثقَافَاتِ الدخِيْلَةِ السائِمَةِ فِي قَنَوَاتِ الإعْلامِ هُنَا وهُنَاكَ .

وذَلِكَ مِنْ خِلالِ بَعْضِ الكُتُبِ الإسْلامِيةِ، التِي نَرَى مِنَ الأهَمِيةِ بِمَكَانٍ قِرَاءَتَها، واقْتِنَاءَهَا لَدَى جَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ لاسِيما هَذِه الأيامِ العَصِيْبَةِ، فَمِنْ تِلْكَ الكُتُبِ مَا يَلِي :

١ ـ قِرَاءةُ "القَوْل السدِيْدِ فِي مَقَاصِدِ التوْحِيْدِ" للشيْخ عَبْدِ الرحْمَن السعْدِي، تَحْقِيْقُ صَبْرِي شَاهِيْنَ .

٢ ـ قِرَاءةُ "عَقِيْدَةِ التوْحِيْدِ" للشيْخ صَـالِح الفَـوْزَان، طَبْعـةُ دَار العَاصِمَةِ.

٣ ـ قِرَاءةُ تَفْسِيْر "زُبْدَةِ التفْسِيْر" للشيْخ مُحَمدٍ الأشْقَر، طَبْعـةُ دَار النفَائس، أو "تَيْسِيْر الكَرِيْمِ الرحْمَن" للشيخ العَلامَةِ عَبْدِ الرحْمَن السعْدِي

٤ ـ قِرَاءةُ "الرحِيْق المَخْتُوْمِ" للشيْخ صَفِي الرحْمَن المُبَارَكْفُوْرِي، مَعَ مَلْحُوْظَةِ : أنْ تَكُوْنَ القِرَاءةُ مِنْ نَسَبِ النبِي صَـلى اللهُ عَلَيْـهِ وسَـلمَ، وأسْرَتِه.

٥ ـ قِرَاءةُ المُجَلدِ الأول مِنْ كِتَابِ "المُلَخص الفِقْهِي" للشيْخ صَـالِح الفَوْزَان، وهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ رُبْع العِبَادَاتِ، طَبْعَةُ دَار العَاصِمَةِ .

٦ ـ قِرَاءةُ "رِيَاض الصالِحِيْنَ" للإمَامِ النوَوي، تَحْقِيْقُ الألبَانِي .

٧ ـ قِرَاءةُ "تَزْكِيَةِ النفُوْس" لأحْمَدَ فَرِيْدٍ، وآخَرِيْنَ .

٨ ـ قِراءةُ "حِصْن المُسْلِمِ" للشيْخ سَعِيْدِ بن وَهْفٍ القَحْطَانِي،

مَعَ مَلْحُوظةٍ : حِفْظِ مَا يُمْكِنُ حِفْظُه مِنَ الأحَادِيْثِ لاسِيمَا أذْكَارُ اليَوْمِ والليْلةِ.

* * *

لَطِيْفَةٌ : لَقَدْ اقْتصَرْنا فِي هَذِه العَزِيْمَةِ الأخَويةِ الشامِلةِ للعَامـةِ مِـنَ المُسْلِمِيْنَ : بثَمَانِيَةِ كُتبٍ عِلْمِيةٍ؛ عَسَاهَا تَكُوْنَ (إنْ شَاءَ اللهُ) سَبَبًا لِدُخُوْلنا جَمِيْعًا مِنْ أي أبْوَابِ الجَنةِ الثمَانِيَةِ، اللهُم آمِيْنَ !

* * *

البَابُ الرابِعُ

العَوَائِقُ والعَلائِقُ

وفِيْهِ خَمْسُ عَوَائِقَ وعَلائِقَ

إن العِلْمَ الشرْعِي، لا يَكُوْنُ شَرْعِيا مَقْبُوْلاً إلا إذا خَلُصَ مِنَ العَوَائِق والعَلائِق، وسَلِمَ مِنْ الدسَائِس والحَوَائِل[1].

فَعِنْدَ ذَلِكَ؛ فلْيَعْلمِ الجَمِيْعُ : بأن العِلْمَ الشرْعِي لَهُ عَوَائِقُ كَثِيْـرَةٌ تَقْطَعُ السيْرَ عَلى طَالِبِ العِلْمِ، وتُفْسِدُ عَلَيْه الطلَبَ والقَصْدَ، كَمَا أنها مُحْبِطَةٌ لصَالِحِ الأعْمَال، ومُجْلِبَةٌ للحِرْمَان والخُسْرَان؛ ومَنْ أحَاطَتْ بِهِ فَقَدْ أوْبَقَتْ دِيْنَهُ ودُنْيَاهُ؛ فَنَعُوْذُ باللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ عَمَـلٍ لا يُرْفَعُ.

ومَهْمَا قِيْلَ؛ فإن العَوَائِقَ كَثِيْرَةٌ لا تَنْتَهي إلى حَد ولا عَد، فمِنْها :

الكِبْرُ، بَطَرُ الحَق، غَمْطُ الناسَ، حَسَدُ الأقْرَان، الرياءُ، العُجْـبُ، تَزْكِيَةُ النفْس، سُوْءُ الخُلُق، العِلْمُ بِلا عَمَلٍ، الترَفُ، العَجْزُ والكَسَلُ، سُوْءُ الظن، تَصْنِيْفُ الناسَ بالظن والتشَهي، غَيْرَةُ الأقْرَان، تَلَقي العِلْمَ عَن المُبْتَدِعَةُ، أخْذُهِ عَن الأصَاغِر، تَتبعُ الرخَصَ والشذُوْذَاتِ العِلْمِيةَ،

---

[1] ـ لَقَدْ أجْمَعْتُ أمْري عَلى إخْرَاجِ رِسَالَةٍ صَغِيْرَةٍ في بَيَان عَوَائِل العِلْم والتَعلم، وكَشْفِ أغْلُوْطَاتِ أدْعِيَاءِ العِلْمِ، واللهَ أسْألُ أنْ يُيسرَ إخْرَاجَها !

نَشْرُ أغْلُوْطَاتِ المَسَائِل، حُب الشهْرَةِ، التَعَالمُ، التصَدرُ قبْلَ التأهـل، التَنمرُ بالعِلْمِ، تَعْظِيْمُ عُلُوْمِ الدنْيَا وألْقَابِها، التخَصصُ (الجَـامِعِي)، التقْلِيْدُ المَذْهَبِي، التَعصبُ العِلْمِي، التحَزبُ المقِيْتُ، الانْهِزَامُ الدعَوي، كَثْرَةُ المِزَاحِ، فُضُوْلُ المُبَاحَاتِ، خَوَارِمُ المُرُوْءةِ، الإصْرَارُ عَلَى الصغَائِر، ارْتِكَابُ الكَبَائِر، المُجَاهَرَةُ بالمَعَاصِي، حُب الدنْيَا، الـدخُوْلُ عَلَـى السلاطِيْن ... إلخ .

* * *

فأما إنْ سَألتَ يَا طَالِبَ العِلْمِ عَنْ جَامِعِ الغَوَائِل وأصْلِها، فَهُمَـا أمْرَان (مُران)، مَا ابْتُلِي بِهِمَا أحَدٌ إلا هُتِكَ سِتْرُه، وافْتُضِحَ أمْـرُه، ورَق دِيْنُه، وحُرِمَ خَيْرُه، (نَعُوْذُ باللهِ مِنْ كُل سُوْءٍ) !

الأولُ : حُب الدنْيا، والثاني : الدخُوْلُ عَلى السلاطِيْن، وهُمَـا عَائقَان مُهْلكَان[١].

يَقُوْلُ النبي صَلى اللهُ عَليْه وسَلمَ : "مَا ذِئْبَان جَائعَان أرْسِلا فِي غَنَمٍ بأفْسَدَ لَهَا : مِنْ حِرْص المَرْءِ عَلى المَال، والشرَفِ لدِيْنِه"[٢]، فأصْلُ مَحَبةِ المَال والشرَفِ حُب الدنْيا، وأصْلُ حُب الدنْيا بَلاطُ السلاطِيْنَ، وفِيْها اسْتِحْكَامُ الهَلَكَةِ؛ فَنَعُوْذُ باللهِ مِنَ الهَوَى والدنْيَا !

يَقُوْلُ ابنُ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللهُ : "إن جَمْعَ المَال وغِشْيَانَ السّلْطَان، لا يُبْقِيَان مِنْ حَسَنَاتِ المَرْءِ إلا كَمَا يُبْقِي ذِئْبَان جَائعَان سَقَطَا فِي حَظَائِرِ فِيْه غَنَمٌ؛ فَبَاتَا يَجُوْسَان حَتى أصْبَحَا"[٣].

* * *

---

[1] ـ لَقَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَ العَوَائق (حُب الدنْيا، والدخُوْل عَلى السلاطِيْن، وتَعْظِيْم العُلُوْمِ الدنْيوِيةِ وألقَابها، والتخَصص الجَامِعي، وفُضُوْل المُبَاحَاتِ) بشَيْءٍ مِنَ البَسْطِ دُوْنَ سِوَاها؛ وما ذَاكَ إلا أن كَثِيْرًا مِنْ المُنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْمِ مِنْ أهْل زَمَانِنَا قَدْ تَوَسعُوا فِيْها (فَيَا أسَفَاه) !

[2] ـ أخْرَجَهُ أحمد(٣/٤٥٦)، والترمذي (٢٣٧٦)، وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ .

تَنْبِيْهٌ : انْظُرْ لِزَامًا شَرْحَ هَذَا الحَدِيْثِ لابن رَجَبٍ الحَنْبَلي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، فِي رِسَالَتِه "شَرْح حَدِيْثِ مَـا ذِئْبَان جَائعَان" فَدُوْنَكَها !

[3] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (١/٦٣٩) .

* فأما العَائِقُ الأولُ : فَهُوَ حُب الدنْيا وزِيْنَتِها، فَهَذَا (واللهِ !) بَيْتُ الداءِ، وَنَامُوْسُ السفْلَةِ والرعَاعِ، ومَبْلَغُ رَأسِ عِلْمِ الخَالِفِيْنَ، وسُـوْقُ المُتَعَالِمِيْنَ، فَعَيَاذًا باللهِ مِنْهَا!

فَيَا طَالِبَ العِلْمِ؛ الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ حُب الدنْيا، " اللهُم لا تَجْعَـل الدنْيا أكْبَرَ هَمنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا"[1] آمِيْنَ !

فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : "اعْلَمُوا أنما الحَيَاةُ الدنْيا لَعِبٌ ولَهْوٌ وزِيْنَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكم وَتكَاثُرٌ فِي الأمْوَال والأوْلادِ"[الحديد٢٠].

وقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْه وسَلمَ : "إن الدنْيا حُلْوَةٌ خَضِـرَةٌ، وإن اللهَ مُسْتَخْلِفُكُم فِيْها؛ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ ؟ فاتقُوا الدنْيا واتقُوا النسَـاءَ، فإن أولَ فِتْنَةِ بَنِي إسْرَائِيْلَ كَانَتْ فِي النسَاءِ"[2].

---

[1] ـ أخْرَجَهُ الترْمِذِي (٣٥٠٢) وهُوَ صَحِيْحٌ .
[2] ـ أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٤٢) .

وقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْه وسَلمَ : "مَنْ تَعلمَ عِلْمًا مِما يُبْتَغى بِه وَجْهَ اللهِ لا يَتَعلمَهُ إلا لِيُصِيْبَ بِه عَرَضًا مِنَ الدنْيا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنـةِ يَـوْمَ القِيَامَةِ"[1] يَعْنِي رِيْحَهَا.

قَالَ الإمَامُ الشافِعِي رَحِمَهُ اللهُ " لا عَيْبَ فِي العُلَمَاءِ أقْـبَحُ مِـنْ رَغْبَتِهم فِيْمَا زَهدَهُم اللهُ فِيْه !"[2].

***

قِيْلَ للإمَامِ أحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ : إن ابنَ المُبَارَكِ قِيْلَ لَهُ : كَيْفَ يُعْرَفُ العَالِمُ الصادِقُ ؟ فَقَالَ : الذِي يَزْهَد فِي الدنْيا، ويُقْبِلُ عَلى أمْرِ الآخِرَةِ، فَقَالَ أحْمَدُ : هَكَذَا يَنْبَغِي أنْ يَكُوْنَ، وكَانَ أحْمَدُ يُنْكِرُ عَلى أهْلِ العِلْمِ حُب الدنْيا، والحِرْصَ عَلَيْها !"[3].

---

[1] ـ أخْرَجَهُ أحْمَدُ(٢/٣٣٨)، وأبو دَاوُدَ (٣٦٦٤)، وابنُ مَاجَه (٢٥٢) وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ .

[2] ـ انْظُرْ "بَيانَ العِلْمِ الأصِيْل" لعَبْدِ الكَرِيْمِ الحُمَيْدِ (٢٦).

[3] ـ انْظُرْ "شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدرْدَاءِ فِي طَلَبِ العِلْمِ" لابن رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ "مَجْمُوْعِ رَسَائِل ابن رَجَبٍ" جَمْعُ أبو مُصْعَبٍ الحُلْوَانِي (١/٥٦) .

قَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ : "لَكَثِيْرٌ مِنْ عُلَمَائِكِم زِيُّهُ، أشْبَهُ بِزِيِّ كِسْرَى وقَيْصَرَ مِنْهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، ولا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، ولَكِـنْ رُفِعَ لَه عِلْمٌ فَشَمَّرَ إلَيْه"[1].

وقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ " إذَا فَسَدَ العُلَمَاءُ؛ فَمَنْ يُصْلِحُهُم؟ وفَسَادُهُم مَيْلُهم عَلَى الدُّنيا، وإذَا جَرَّ الطَّبِيْبُ الدَّاءَ إلى نَفْسِه فَكَيْـفَ يُدَاوِي غَيْرَه؟!"[2].

وقَالَ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ : "إذَا رَأيْتُم العَالِمَ مُحِبًّا لدُنْيَاه؛ فاتَّهِمُوْهُ عَلَى دِيْنِكِم، فإنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لشَيْءٍ يَحُوْطُ ما أحَبَّ"[3].

---

[1] ـ انْظُرْ "أخْلاقَ العُلَمَاءِ" للآجُرِّي (٨٦)، و"الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِي (٩٢/٨)، و"سِـيَرَ أعْـلامِ النُّبَلاءِ" للذَّهَبِي (٤٣٤/٨) .

[2] ـ انْظُرْ "الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِي (٣٣٩/٦)، و"جَامِعَ بَيَان العِلْـمِ وفَضْـلِه" لابْـن عَبْـدِ البَـر (٧١١/١، ٦٤٣) بِنَحْوِه .

[3] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (٦٧٠/١) .

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ "مِنْ شَرْطِ العَالِمِ أنْ لا تَخْطُرَ مَحَبةُ الدنْيا عَلى بَالِه !، وقِيْلَ لَهُ : مَنْ سِفْلَةُ الناس ؟ قَالَ : الذِيْنَ يَتَعَيشُوْنَ بِدِيْنِهم!"[1].

كَانَ يُقَالُ : "أشْرَفُ العُلَمَاءِ مَنْ هَرَبَ بدِيْنِهِ عَن الدنْيا، واسْتَصْعَبَ قِيَادُهُ عَلى الهَوى"[2].

نَعم؛ فإن طَلَبَ العِلْمِ يَدُل عَلى الهَرَبِ مِنَ الدنْيا، لا عَلى حُبها، أما أهْلُ زَمَانِنا فَشَيْءٌ آخَرُ، فإلى اللهِ المُشْتَكى، وعَلَيْه التكْلانُ !

وقَالَ حَسَنُ بنُ صَالِحٍ رَحِمَهُ اللهُ : "إنكَ لا تَفْقَهُ حَتى لا تُبَالِي فِي يَدَيْ مَنْ كَانَتِ الدنْيا"[3].

ومَا أبْلغَ مَا هُنا!؛ إذْ يَقُوْلُ الآجُري رَحِمَهُ اللهُ : "فإذَا كَانَ يُخَافُ عَلى العُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ الزمَان أنْ تَفْتِنَهُم الدنْيا!، فَمَا ظَنكَ بِه فِي زَمَانِنا

---

[1] ـ انْظُرْ "الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَاني (١٧٨/٨) بنَحْوِه .
[2] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (٦٥٦/١) .
[3] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (٦٦٠/١) .

هَذَا؟ اللهُ المُسْتَعَانُ . مَا أعْظَمَ مَا قَدْ حَل بالعُلَمَاءِ مِنَ الفِتَنِ وَهُم عَنْهُ فِي غَفْلَةٍ!"[1] انْتَهى.

قُلْتُ : وَكَأني بالآجُري رَحِمَهُ اللهُ يَصِفُ أكْثَرَ عُلَمَاءِ زَمَانِنا، وهُمْ حَتى سَاعَتِي هَذِه مَا بَيْنَ غَفْلَةٍ أو تَغَافُلٍ، وجَهْلٍ أو تَجَاهُـلٍ بِـالفِتَنِ العَاصِفَةِ بالعِبَادِ والبِلادِ، فاللهُ المُسْتَعَانُ !

* * *

* وأما العَائِقُ الثانِي : فَهُوَ الدخُوْلُ عَلَى السلاطِيْنِ، وأهْلِ الدنْيا، فَهَذَا (واللهِ!) المَوْتُ الأسْوَدُ، والحَوْرُ بَعْدَ الكَوْرِ، إلا مَنْ سَـلمَهُ اللهُ، وقَلِيْلٌ مَا هُم، فعِيَاذًا باللهِ مِنْه !

فَيا طَالِبَ العِلْمِ؛ الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ الدخُوْل عَلَى السلاطِيْنِ، وأهْلِ الدنْيا !

---

[1] ـ "أخْلاقُ العُلَمَاءِ" للآجُري (٨٩) .

فَقَدْ قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْه وسَلمَ : " مَنْ بَدَا جَفَا، وَمَنْ اتبَعَ الصـيْدَ عَفَلَ، وَمَنْ أتى أبْوَابَ السلْطَانِ افْتَتنْ، وَمَا زَادَ أحَدٌ مِنَ السلْطَان قُرْبًا إلا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا"[1].

وقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْه وسَلمَ : " إياكُم وأبْوَابَ السلْطَان؛ فإنه قَـدْ أصْبَحَ صَعْبًا هَبُوْطًا"[2]، (هَبُوْطًا : ذُلاً) .

* * *

قَالَ أبو حَازِمٍ رَحِمَهُ اللهُ "لَقَدْ أتتْ عَلَيْنا بُرْهَةٌ مِنْ دَهْرِنا وَمَا عَالِمٌ يَطْلُبُ أمِيْرًا، وكَانَ الرجُلُ إذا عَلِمَ اكْتَفَى بالعِلْمِ عَما سِوَاه، فَكَانَ فِي ذَلِكَ صَلاحٌ للفَرِيْقَيْن (للوَالِي والمَولى عَليه)، فَلَما رَأتِ الأمَرَاءُ أن العُلَمَاءَ قَدْ غَشَوْهُم وجَالَسُوْهُم وسَألُوْهُم مَا فِي أيْدِيْهم هَانُوا عَلَـيْهم

1 ـ أخْرَجَهُ أحمد (٣٧١/٢)، انْظُرْ "السلْسِلَةَ الصحِيْحَةَ" (١٢٧٢) .

2 ـ أخْرَجَهُ الديْلَمِي (٣٤٥/٢/١)، وابنُ عساكر (٢٣٢/١٣)، وقَد صَححَ إسْنادَه الألبَانِي رَحِمَهُ اللهُ فِي "السلْسِلَةِ الصحِيْحَةِ" (١٢٥٣) .

وَتَرَكُوا الأَخْذَ عَـنَهُم والاقْتِبَـاسَ مِـنْهُم، فَكَـانَ ذَلِـكَ هَـلاكٌ لِلفَرِيْقَيْن"[١] اْنتَهى .

واجْتَازَ الحَسَنُ البَصْرِي رَحِمَهُ اللهُ يَوْمًا بِبَعْض القُراءِ عَلى أبْـوَابِ السلاطِيْنَ فَقَالَ : "أقْرَحْتُمْ جِبَاهَكُم، وفَرْطَحْتُمْ نِعَالَكُمُ، وجِئْتُمْ بالعِلْمِ تَحْمِلُوْنَه عَلى رِقَابِكِم إلى أبْوَابِهم ؟ فَزَهِدُوا فِيْكُم، أمَا إنكُم لَوْ جَلَسْتُم فِي بُيُوْتِكِم حَتى يَكُوْنُوا هُمُ الذِيْنَ يُرْسِلُوْنَ إلَيْكُم؛ لَكَانَ أعْظَمَ لَكُمْ فِي أعْيُنِهِمْ، تَفَرقُوا فَرقَ اللهُ بَيْنَ أضْلاعِكِمُ!"[٢] اْنتَهى .

وقَالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ رَحِمَهُ اللهُ "يُوْشِكُ أنْ تَرَوْا جُهـالَ النـاس يَتَبَاهَوْنَ بالعِلْمِ، وَيَتَغَايَرُوْنَ عَلى التقَدمِ بِه عِنْدَ الأمَرَاءِ، كَمَـا يَتَغَـايَرُ النسَاءُ عَلى الرجَال، فَذَلِكَ حَظهُم مِنْ عِلْمِهِم"[٣].

---

[1] ـ اْنظُرْ "الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ (٢٤٣/٣) و"شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدرْدَاءِ" لابن رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ "مَجْمُـوْع رَسَائِل ابن رَجَبٍ" جَمْعُ أبو مُصْعَبٍ الحُلْوَانِي (٥٧/١) .

[2] ـ اْنظُرْ "شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدرْدَاءِ فِي طَلبِ العِلْمِ" لابن رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ "مَجْمُوْع رَسَائِل ابن رَجَبٍ" جَمْعُ أبو مُصْعَبٍ الحُلْوَانِي (٥٧/١-٥٨) .

[3] ـ اْنظُرْ "الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِي (٤١٢/٥) .

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ " إذَا رَأيْتُم العَالِمَ (القارئ) يَلُوْذُ بَبابِ السلاطِيْنَ فاعْلَمُوا أنه لِص، وإذا رَأيْتُمُوْهُ يَلُوْذُ ببابِ الأغْنِيَاءِ فاعْلَمُوا أنه مُرَاءٍ"[1]، وبِمِثْلِهِ قَالَ سُفْيَانُ الثوْرِي رَحِمَهُ اللهُ[2].

وقِيْلَ لسُفْيَانُ الثوْرِي رَحِمَهُ اللهُ : " ألا تَدْخُلُ عَلَى الأمَرَاءِ فَتَتَحَفظُ وَتعِظُهُم وَتنهَاهُم ؟، فَقَالَ : تَأمُرُوْنِي أنْ أسْبَحَ فِي البَحْـرِ ولا تَبْتَـل قَدَمَايْ ؟ إني أخَافُ أنْ يُرَحِبُوا بِي فأمِيْلُ إلَيْهم فَيَحْبطَ عَمَلِي!"[3] انْتَهَى.

ومِنْ دَقِيْق الخَوْفِ؛ مَا ذَكَرَهُ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ بقَوْلِـهِ : "كُنتُ قَدْ أوْتِيْتُ فَهْمَ القُرْآن، فلما قَبِلْتُ الصرةَ مِنْ أبِي جَعْفَرٍ؛ سُلِبْته، فَنسْألُ اللهَ تَعَالى المُسَامَحَةَ!"[4].

وَمَا أجْمَلَ مَا هُنا؛ وذَلِكَ عِنْدَمَا كَتبَ إمَامُ أهْل السنةِ والجَمَاعَـةِ أحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ إلى سعِيْدِ بن يَعْقُوْبَ : " أما بَعْدُ : فإن الـدنيا دَاءٌ،

[1] ـ انْظُرْ "الآدَابَ الشرْعِيةَ" لابن مُفْلِحٍ (١٥٥/٢) .
[2] ـ انْظُرْ "الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِي (٤٢٨/٦) .
[3] ـ انْظُرْ "الحِلْيَةَ" لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِي (٤٤/٧) .
[4] ـ انْظُرْ "تذْكِرَةَ السامِع والمُتكلم" لابن جَمَاعَةَ (٤٨) .

والسلْطَانَ دَاءٌ، والعَالِمَ طَبِيبٌ، فإذَا رَأيتَ الطَّبِيبَ يَجُر الداءَ إلى نَفْسِه فاحْذَرْهُ، والسلامُ عَلَيْكَ!"[1] انْتَهى .

وقَدْ قِيْلَ: "إن خَيْرَ الأمَرَاءِ مَنْ أحَب العُلَمَاءَ، وإن شَر العُلَمَاءِ مَنْ أحَب الأمَرَاءَ !"[2]، وحَسْبُكَ أن هَذَا هُوَ القَانُوْنُ الذِي يُوْزَنُ بِه العُلَمَاءُ والأمَرَاءُ : خَيْرًا وشَرا !

ورَحِمَ اللهُ أبَا الحَسَنِ عَلي بنَ عَبْدِ العَزِيْزِ الجُرْجَانِي إذْ يَقُوْلُ[3]:

ولَـوْ أن أهْلَ العِلْمِ صَانُوْهُ صَانَهُم ... ولَوْ عَظمُوْهُ فِي النفُوْسِ لَعُظمَا

ولَكِنْ أهَـانُوْهُ فَهَانُوا، ودَنسُـوْا ... مُحَياهُ بِـالأطْمَاعِ حَتى تَجَهمَا

* * *

[1] ـ انْظُرْ "بَيَانَ العِلْمِ الأصِيْلِ" لعَبْدِ الكَرِيْمِ الحُمَيْدِ (٢٦).

[2] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه" لابْنِ عَبْدِ البَر (١/٦٤٤) .

[3] ـ لَقَدْ أدْرَكْنا مَشَايِخَنا وهُمْ يَحْفَظُوْنَ قَصِيْدَةَ الجُرْجَانِي كَامِلةً، ولَمْ يَزَلِ العَهْدُ مُتصِلاً فالحَمْدُ للهِ، فاشْدُدْ يا طَالِبَ العِلْمِ بِحَبْلِ حِفْظِها؛ فَفِيْها صِفَاتُ العَالِمِ الربانِي، وحِكَمٌ ومَوَاعِظُ عَزِيْزَةٌ؛ لاسِيمَا هَذِه الأيامِ !، انْظُرْها "أدَبُ الدنْيا والدينِ" للمَاوَرْدِي (١٣٢)، و"طَبَقَاتُ الشافِعِية" للسبْكِي (٣/٤٦٠) وانْظُرْها كَامِلةً فِي "صَفَحَاتٍ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ" لأبِي غُدةَ (٣٥٢) .

ومَهْمَا يَكُنْ، فَلا تَذهَبْ نَفْسُكَ يا طَالِبَ العِلْمِ عَلَيْهم حَسَـرَاتٍ؛ فإنه لَما مَاتَ شَيْخُ الإسْلامِ وقُدْوَةُ العُلَمَاءِ سُفْيَانُ الثوري رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : مَعْشَرَ أَهْل الهَوى كُلُوا الدنْيا بالدِّين!، فَقَدْ مَاتَ سُفْيَانُ !"[1]، يَعْنِي : مَا بَقِي بَعْدَهُ أحَدٌ يُسْتَحْيا مِنْه !، قُلْتُ : فإنْ لَـمْ يَكُنْ سُفْيَانُ، فاللهُ أحق أنْ يُسْتَحْيَ مِنْه!

* * *

ولا يَهُوْلنكَ يا طَالِبَ العِلْمِ مَا هُنَالِكَ مِنْ نَوَابِتَ نَكِدَةٍ لَمْ تَزَلْ تَسْعَ جَاهِدَةً فِي إحْيَاءِ مُخَالفَةِ مَسَالِكَ عُلَمَاءِ السلفِ الصالِح فِي الدخُوْل عَلى السلاطِيْن والأمَرَاءِ، وذَلِكَ بدَفْع طُـلابِ العِلْـمِ إلى مَرَاتِـع الشهَوَاتِ، ومَهَالِكِ الشبُهَاتِ؛ ليَهِيْمُوا فِي "وَادِي تُضُلل"، مِما قَـدْ تَعْصِفُ بِمَا بَقِيَ مِنْ عِزةِ أهْل العِلْمِ !

[1] ـ انْظُرْ "شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدرْدَاءِ فِي طَلبِ العِلْم" لابن رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ "مَجْمُوْع رَسَائِل ابن رَجَبٍ" جَمْعُ أبو مُصْعَبٍ الحُلْوَانِي (١/٥٥) .

وذَلِكَ مِنْ خِلال دَعَوَاتٍ عَرِيْضَةٍ (مَرِيْضَةٍ !)، وتَصَانِيْفَ بَتْـرَاءَ دَاعِيَةً مَضَامِيْنُها وعَنَاوِيْنُها إلى الدخُوْل عَلى الأمَرَاءِ والسلاطِيْن، ولَوْ بِشَرْطِ : الأمْرِ بالمَعْرُوْفِ، والنهْيِ عَنِ المُنْكَرِ !، فاحْذَرْ يا طَالِبَ العِلْمِ، وانْجُ بِعِلْمِكَ، وفِرَّ بدِيْنِكَ فإنه رَأسُ مَالِكَ، واعْلَمْ إن هَذَا الشرْطَ كَانَ عِنْدَ السلَفِ عَزِيْزًا عَسِيْرًا، أما اليَوْمَ فأدْعِيَاءُ الشرْطِ كَثِيْرٌ، والعَامِلُوْنَ بِه نَزْرٌ يَسِيْرٌ، لا يَتجَاوَزُوْنَ أصَابِعَ اليَدِ الوَاحِدَةِ !

فَحَسْبُكَ مَا ذَكَرَه ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ : "فَقَدْ كَانَ كَثِيْـرٌ مِـنَ السلَفِ يَنْهَوْنَ عَنِ الدخُوْل عَلى المُلُوْكِ لِمَنْ أرَادَ أمْـرَهُم بِـالمَعْرُوْفِ وَنَهْيَهُم عَنِ المُنْكَرِ أيضًا، ومِمنْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ : عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ، وابنُ المُبَارَكِ، والثوْرِي، وغَيْرُهُم مِنَ الأئمةِ .

وقَالَ ابنُ المُبَارَكِ : لَيْسَ الآمِرُ الناهِي عِنْدَنا مَـنْ دَخَـلَ عَلَـيْهِم (السلاطِيْنَ) فأمَرَهُم وَنَهَاهُم، إنمَا الآمِرُ الناهِي مَن اعْتَزَلَهُم !

وسَببُ مَا يُخْشَى مِنْ فِتْنَةِ الدخُوْل عَلَيْهم، فإن النفْسَ قَدْ تُخَيلُ للإِنْسَانِ إذَا كَانَ بَعِيْدًا أنه يَأمُرُهُم وَيَنهاهُم وَيُغْلِظُ عَلَيْهم، فإذَا شَاهَدَهُم قَرِيْبًا مَالتْ النفْسُ إلَيْهم، لأن مَحَبةَ الشرَفِ كَامِنَةٌ فِي النفْس لَهُ، ولِذَلِكَ يُدَاهِنَهُم وَيُلاطِفُهُم، ورُبمَا مَالَ إلَيْهم وأحَبهُم، ولاسِيمَا إنْ لاطَفُوْه وأكْرَمُوْه، وقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُم، وقَدَ جَرَى ذَلِكَ لِعَبْدِ اللهِ بن طَاوُوْسٍ مَعَ بَعْض الأمَرَاءِ بِحَضْرَةِ أبِيْه طَاوُوْسَ فَوَبخَهُ عَلَى فِعْل ذَلِكَ .

وكَتَبَ سُفْيَانُ الثوْرِي إلى عَبادِ بن عَبادٍ، وكَانَ فِي كِتَابِهِ : "إياكَ والأمَراءَ أنْ تَدْنُو مِنْهُم، أو تُخَالِطَهُم فِي شَيْءٍ مِنَ الأشْيَاءِ .

وإياكَ أنْ تُخْدَعَ وَيُقَالُ لَكَ : لِتَشْفَعَ وَتَدْرَأ عَنْ مَظْلُوْمٍ أو تَرُد مَظْلَمَةً، فإن ذَلِكَ خَدِيْعَةُ إبْلِيْس، وإنمَا اتخَذَهَا فُجارُ القُراءُ سُلمًا، وَمَا كُفِيْتَ عَن المَسْألَةِ والفُتْيا فاغْتَنِمْ ذَلِكَ، ولا تُنَافِسُهُم"[1] انْتَهَى .

---

[1] ـ انْظُرْ "شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدرْدَاءِ فِي طَلَبِ العِلْمِ" لابن رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ "مَجْمُوْع رَسَائِل ابن رَجَبٍ" جَمْعُ أبو مُصْعَبٍ الحُلْوَانِي (٨٦/١-٨٧) .

وقَالَ سُفْيانُ أيضًا : مَا أخَافُ مِنْ عُقُوْبَتِهم، إنمـا أخَـافُ مِـنْ كَرَامَتِهم!"[١].

ولِهَذَا قَالَ الإمَامُ أحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ : "فِتْنَتِي بالمُتَوكلِ أعْظَمُ مِـنْ فِتْنَتِي بالمُعْتَصِمِ!" يُشِيْرُ إلى الإكْرَامِ[٢].

ورَحِمَ اللهُ ابنَ عَبْدِ البَر إذْ يَقُوْلُ عَنْ مَجَالِسِ أمَرَاءِ العَدْل والفَضْل: "الفِتْنَةُ فِيْها أغْلَبُ، والسلامَةُ مِنْها تَرْكُ مَا فِيْها"[٣].

* * *

وإنا وإياكَ؛ لَنْ نَنسَ "وَمَنْ أتى أبْوَابَ السلْطَان افْتَتَنْ"، و" إيـاكُم وأبْوَابَ السلْطَان؛ فإنه قَدْ أصْبَحَ صَعْبًا هَبُوْطًا"، "وإياكَ أنْ تُخْدَعَ فإن ذَلِكَ خَدِيْعَةُ إبْلِيْس، و"السلْطَانَ دَاءٌ، والعَالِمَ طَبِيْبٌ، فـإذَا رَأيـتَ

[1] ـ انْظُرْ "الجَلِيْسَ الصالِحَ" لسِبْطِ ابن الجَوْزي (٢٠١) .
[2] ـ انْظُرْ السابِقَ .
[3] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيان العِلْمِ وفَضْلِه" لابْن عَبْدِ البَر (٦٤٤/١) .

الطبيبَ يَجُر الداءَ إلى نَفْسِه فاحْذَرْهُ"، فاحْذَرَ أنْ يُرَحبُوا بِكَ فَتَمِيْـلَ إلَيهم مَيْلاً عَظِيْمًا! والسلامُ عَلَيكَ يا طَالِبَ العِلْمِ والعزةِ !

* * *

* أما العَائِقُ الثالِثُ : : أنْ تَحْذَرَ يا طَالِبَ العِلْمِ مِـنَ الاشْـتِغَالِ والنظرِ في دَرَكَاتِ الهُوْنِ والدوْنِ، مِنْ عُلُوْمِ أهْلِ زَمَانِنَا، ومَا هُمْ فِيْـه مِنْ شَارَاتٍ وضْعِيةٍ[١]، وألقَابٍ جَوْفَاءَ، مَا أنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُـلْطَانٍ أو بُرْهَانٍ، اللهُم هَوًى وظُنُوْنًا يَتَغَشوْنَ بِهَا مَجَالِسَ العِلْمِ، لِيَسْتَبِيْحُوا بِهَا زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدنْيا (إلا مَا رَحِمَ رَبي)!

واعْلَمْ يَا رَعَاكَ اللهُ : إن العِلْمَ مَا جَاءَ عَن الكِتَـابِ، والسـنةِ، وأصْحَابِ النبي صَلى اللهُ عَلَيهِ وسَلمَ، وهَذَا مَا أجْمَعَ عَلَيْـه سَـلَفُ الأمةِ.

---

[1] ـ أي : بَعْضُ الأسْمَاءِ العِلْمِيةِ الوَافِدَةِ عَلَينا : كالدكْتُوْرَاه، والماجِسْتِيْر، والبَكَلُرْيُوس وغيرها .

قَالَ الإِمَامُ الأَوْزَاعِي رَحِمَهُ اللهُ : "العِلْمُ مَا جَاءَ عَـنْ أصْـحَابِ مُحَمدٍ، وَمَا لَمْ يَجِيء عَنْهُم فَلَيسَ بِعِلْمٍ"[1].

وَهَاكَ يا طَالِبَ العِلْمِ هَذِه القَاعِدَةَ السلَفِيةَ فِي وِزَانِ عُلُوْمِ السلَفِ وعُلُوْمِ الخَلَفِ، وهُوَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيمِيـةَ رَحِمَـهُ اللهُ : "العِلْمُ المَوْرُوْثُ عَن النبِي صَلى اللهُ عَلَيه وسَلمَ؛ فإنه هُوَ الذِي يَسْتَحِق أنْ يُسَمى عِلْمًا، وما سِوَاهُ إما أنْ يَكُوْنَ عِلْمًا فَلا يَكُوْنُ نَافِعًا.

وإما أنْ لا يَكُوْنَ عِلْمًا وإنْ سُميَ بِه، ولِئِنْ كَانَ عِلْمًا نَافِعًا فَلابد أنْ يَكُوْنَ فِي مِيْرَاثِ مُحَمدٍ صَلى اللهُ عَلَيه وسَلمَ مَا يُغْنِي عَنْه مِما هُوَ مِثْلُه وخَيْرٌ مِنْه!"[2].

وقَالَ أيضًا رَحِمَهُ اللهُ فِي أهَمِيةِ مُخَالَفَةِ أعْمَال الكُفارِ؛ ولَوْ كَانَ فِيه إتقَانٌ : "فإذًا المُخَالَفَةُ لَهُم (أيْ مُخَالَفةُ الكُفارِ) فِيْها مَنفَعَةٌ وصَلاحٌ لَنا فِي كُل أُمُوْرِنا؛ حَتى مَا هُم عَلَيه مِنْ اتقَانِ بَعْضِ أُمُوْرِ دُنْيَـاهُم؛ قَـدْ

---

[1] ـ انْظُرْ "جَامِعَ بَيَان العِلْمِ" لابْنِ عَبْدِ البَر (٦٤٤/١)، و"البِدَايَةَ والنهَايَةَ" لابن كَثِيرٍ (١١٧/١٠).
[2] ـ "مَجْمُوْعُ الفَتَاوَى" لابن تَيمِيةَ (٦٦٤/١٠) .

يَكُوْنُ مُضِرًا بِأمْرِ الآخِرَةِ، أو بِمَا هُوَ أهَم مِنْهُ مِنْ أمْرِ الدنْيا، فالمُخَالَفَةُ فِيْه صَلاحٌ لنا"[1].

* * *

قَالَ النبِي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلمَ : "يَتقَارَبُ الزمَانُ، ويَنْقُصُ العِلْمُ، وَتظْهَرُ الفِتَنُ، وَيكْثُرُ الهَرْجُ، قِيْلَ يَا رَسُوْلَ اللهِ : أيمُ هُوَ ؟ قَالَ : القَتْلُ القَتْلُ"[2].

وفِي هَذَا الحَدِيْثِ نُكْتَةٌ عِلْمِيةٌ نَفِيْسَةٌ ذَكَرَها الإمَامُ الحَافِظُ أبو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْله : "فِي هَذَا الخَبرِ دَلِيْلٌ عَلى أن مَا لمْ يَنْقُصْ مِنَ العِلْمِ ليْسَ بِعِلْمِ الديْنِ فِي الحَقِيْقَةِ، وفِيْه دَلِيْلٌ عَلى أن ضِد العِلْمِ يَزِيْدُ، وكُل شَيْءٍ زَادَ مِما لمْ يَكُنْ مَرْجِعُـه إلى الكِتَـابِ والسـنةِ فَهُـوَ ضِـد العِلْمِ"[3] انْتَهى .

[1] ـ "اقْتِضَاءُ الصرَاطِ المُسْتَقِيْمِ" لابن تَيمِيةَ (١٧٢/١) .
[2] ـ أخْرَجَهُ البُخَارِي (٥٦٩٠) وغَيْرُه .
[3] ـ انْظُرْ "مُقَدمَةَ المَجْرُوْحِيْن" لابن حِبانَ (١٢) .

وقَالَ النبِي صَلى اللهُ عَلْيه وسَلمَ : "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْرًا يُفَقهْهُ في الدْين"[1]!

ومِنْه نَعْلمُ قَطعًا؛ أن كُل عِلْمٍ لَمْ يَكُنْ مِنَ الدْين فَلْيسَ بِفقْهٍ، ومَن اشْتَغَلَ بغَيْره فَلْيسَ مِمنْ أرَادَ اللهُ بِه خَيْرًا أصَالةً لا حِوالةً[2] !

* * *

وعَلْيه؛ فاعْلمْ إن هَذِه العُلُوْمَ الطبِيْعِيةَ وغيْرَها مِما هِيَ مِنْ عُلُـوْمِ الدْنيا (الطبِيْعَيةَ، الهيْئَةَ، الرياضِيةَ، الهْندَسَةَ، الطب وغيْرَها) التِي لَمْ تَزَلْ تَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ بأنهَا لْيسَتْ مِنَ العِلْمِ الشرْعِي بِشَيْءٍ، كَمَا أنه لا يَضُر الجَهْلُ بِها، ولا يَنْفَعُ العِلْمُ بِها !

يَقُوْلُ ابنُ تيْمِيةَ رَحِمَهُ اللهُ :" لَكِن المَقْصُوْدَ أنْ يُعْرَفَ أن الصحَابَةَ خَيْرُ القُرُوْن، وأفْضَلُ الخَلْق بَعْدَ الأنبِيَاءِ .

---

[1] ـ أخْرَجَهُ البُخَارِي (٢٧/١)، ومُسْلِمٌ (٩٥/٣) .

[2] ـ لأن الخَيْرَ يَكُوْنُ فِي العُلوْمِ الشرْعِيةِ أصَالةً، وفي غيْره مِنَ عُلوْمِ الدْنيا يَكُوْنُ تَبَاعًا !

فَمَا ظَهَرَ (مِنَ العُلُوْمِ) فِيْمَنْ بَعْدَهُم مِمنْ يَظُـن أنهـا فَضِـيْلةٌ لِلمُتَأخرِيْنَ، ولَمْ تَكُنْ فِيْهم فإنها مِنْ الشيْطَانِ، وهِي نَقِيْصَةٌ لا فَضِيْلَةٌ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ جِنْس العُلُوْمِ، أو مِنْ جِنْس العِبَادَاتِ، أو مِنْ جِـنْس الخَوَارِق والآيَاتِ، أو مِنْ جِنْس السِيَاسَةِ والمُلْكِ؛ بَلْ خَيْرُ الناس بَعْدَهُم أتْبَعُهُم لَهُم"[١] انتهى .

وقَالَ أيضًا رَحِمَهُ اللهُ فِي مَعْرَض رَده عَلى أرْبَابِ العُلُوْمِ الدنْيَوِيةِ، لاسِيما الفَلْسَفَةُ مِنْهُم :" فإن عِلْمَ الحِسَابِ الذِي هُـوَ عِلْـمٌ بـالكَم المنْفَصِل، والهَنْدَسَةِ التِي هِيَ عِلْمٌ بالكَم المتصِل عِلْمٌ يَقِيْنِي لا يَحْتَمِـلُ النقِيْضَ البَتةَ : مِثْلُ جَمْعِ الأعْدَادِ وقِسْمَتِها وضَرْبِها، ونِسْبَةِ بَعْضِها إلى بَعْضٍ ... والمَقْصُوْدُ أن هَذا العِلْمَ الذِي تَقُوْمُ عَلَيْه بَرَاهِيْنٌ صَادِقَةٌ لَكِنْ لا تَكْمُلُ بِذَلِكَ نَفْسٌ، ولا تَنْجُو مِنْ عَذَابٍ، ولا تُنَالُ بِه سَعَادَةٌ"[٢].

* * *

---

[1] ـ "مَجْمُوْعُ الفَتَاوَى" لابن تَيمِيةَ (٢٧/٣٩٤) .

[2] ـ السابق (٩/١٢٦) .

يَقُوْلُ ابنُ القَيمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي بَيانِ أنواعِ العُلُوْمِ : "نَوْعٌ تَكْمُـلُ النفْسُ بإِدْرَاكِهِ والعِلْمِ بِه، وهُوَ العِلْمُ باللهِ وأسْمَائِه وصِفَاتِه وأفْعَالِـه وكُتُبِه وأمْرِه ونَهْيِه.

وَنَوْعٌ لا يَحْصُلُ للنفْسِ بِه كَمَالٌ : وهُوَ كُل عِلْمٍ لا يَضُر الجَهْلُ بِه، فإنه لا يَنْفَعُ العِلْمُ بِها في الآخِرَةِ .

وكَانَ النبِي صَلى اللهُ عَلَيْه وسَلمَ يَسْتَعِيْذُ باللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ !، وهَذَا حَالُ أكْثَرِ العُلُوْمِ الصحِيْحَةِ المُطَابِقَةِ التِي لا يَضُر الجَهْلُ بِها شَيْئًا: كالعِلْمِ بالفَلَكِ ودَقَائِقِه ودَرَجَاتِه، وعَدَدِ الكَوَاكِبِ ومَقَادِيْرِها، والعِلْمِ بِعَدَدِ الجِبَال وألْوَانِها ومَسَاحَتِها، ونَحْوِ ذَلِكَ، فَشَرَفُ العِلْمِ بِحَسَـبِ شَرَفِ مَعْلُوْمِه، وشِدةِ الحَاجَةِ إليْه، ولَيسَ ذَاكَ إلا العِلْمُ باللهِ وتَوَابِـعِ ذَلِكَ"[1] انْتَهى.

---

[1] ـ "الفَوَائِدُ" لابن القيم (١٦٠) .

وقَالَ أيضًا فِي مَعْرَض الرد عَلَى عُلَمَاءِ الفَلْسَفَةِ : "وإما عِلْمٌ طَبِيعِي صَحِيْحٌ غَايَتُه مَعْرِفَةُ العَنَاصِرَ، وَبَعْضَ خَوَاصِهَا وطَبَائِعِها، وَمَعْرِفَةُ بَعْضَ مَا يَتَرَكبُ مِنْها وَمَا يَسْتَحِيْلُ مِنَ المُوْجِبَاتِ إلَيْها، وبَعْضَ مَا يَقَعُ فِـي العَالَمِ مِنَ الآثارِ بامْتِزَاجِها واخْتِلاطِها ... وأي كَمَالٍ للنفْسِ فِي هَذِا ؟ وأي سَعَادَةٍ لَهَا فِيْه ؟!"[1] انْتَهَى.

* * *

واعْلَمْ يا رَعَاكَ اللهُ، أن العِلْمَ إذا أُطْلِقَ، فإنه لا يَصْدُقُ إلا عَلَـى العِلْمِ الشرْعِي فَضْلاً وكَمَالاً، أجْرًا ومَآلاً، عِزا وحَالاً ... !

وَمَا سِوَاهُ مِنْ عُلُوْمِ الدنْيا؛ فَهي عُلُوْمٌ مُقَيَدَةٌ بِمَا تُضَافُ إلَيْه مِنْ : حِرَفٍ ومِهَنٍ وفِكْرٍ ... كعُلُوْمِ الطِبِيْعَةِ، والفَلَكِ، والهَيْئَةِ، والحِسَـابِ، والصَنَاعَاتِ، والرِيَاضِياتِ، والهَنْدَسَـةِ، والأحْيَـاءِ، و(الكِيْمِيَـاءِ)، و(الفِيْزِيَاءِ)، و(الجُغْرَافِيَا)، وعِلْمِ الأرْضِ (الجُيُوْلُوْجِيا)، وعِلْمِ التجَارَةِ،

[1] ـ "مِفْتَاحُ دَارِ السعَادَةِ" لابن القَيمِ (١٢٢/٢) .

وعِلْمِ السَيَاسَةِ، وكَذَا حِرَفِ النجَارَةِ، والفِلاحَةِ، والصَنَاعَةِ، والحِيَاكَةِ ... إلخ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ؛ كَانَ مِنَ الخَطَأ البَين رَصْفُ تِلْكَ العَنَاوِيْنَ الرابِضَةَ فَوْقَ بَعْض الكُتبِ العِلْمِيةِ، والأطَارِيْح الجَامِعِيةِ كَقَوْلِهم : العِلْمُ والإيْمَانُ، العِلْمُ والإسْلامُ، الإيْمَانُ مِحْرَابُ الطب، الدِيْنُ والعِلْـمُ التجْرِيْبِـي، القُرْآنُ والإعْجَازُ العِلْمِي ... وغَيْرُها مِما هُوَ مِنْ زَبَدِ العُلُوْمِ الدخِيْلَةِ، والانْهزَامِ الجَاثِمِ عَلى عُقُوْل وأقْلامِ كَثِيْرٍ مِنَ كُتابِ المُسْـلِمِيْنَ هَـذِه الأيامَ!

وَمَا ذَاكَ الخَطَأ الدارِجُ هُنَا وهُنَاكَ إلا لِكَوْن القَوْمُ قَدْ ظَنوا بأن العِلْمَ شَيْءٌ، والدِيْنَ شَيْءٌ آخَرَ !، لِذَا نَجِدُهُم لا يُفَرقُوْنَ بَيْنَ الدِيْن والعِلْمِ، وَمَا عَلِمُوا أن الدِيْنَ الإسْلامِي هُوَ العِلْمُ، والعِلْمَ دِيْنٌ؛ فانْظُرُوا عَمـنْ تَأخُذُوْنَ دِيْنَكُم !

فإن حَالَ هَذِه العُلُوْمِ الدنْيَويةِ؛ بَلْ أكْثَر العُلُوْمِ الصحِيْحَةِ المُطَابِقَةِ للعَقْلِ والتجْرُبَةِ؛ فإنه لا يَضُر الجَهْلُ بِها شَيْئًا، كَمَا أنه لا يَنْفَعُ العِلْـمُ بِها!

لِذَا؛ فلا يَهُوْلنكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ مَا يَتَجَارَى بِهِ أهْلُ زَمَانِنَـا فِـي تَسْوِيْق هَذِه العُلُوْمِ الدنْيَويةِ، مَعَ زُخْرُفٍ مِنَ الشارَاتِ والألْقَابِ فِـي صُرُوْحِ الجَامِعَاتِ، ومَا يَقْذِفُه الإعْلامُ العَائِمُ فَوْقَ بَرَاكِيْنَ مِنَ الثقَافَاتِ الغَرْبِيةِ، كُل ذَلِكَ مُحَاكَاتٌ ومُشَابَهَةٌ لِمُخَلفَاتِ الاسْتِعْمَارِ (الدمَارِ !) الغَرْبِي !

* * *

ومَهْمَا قِيْلَ؛ فَلَنْ يَتَعَد أصْحَابُ هَذِه العُلُوْمَ الطبِيْعِيةِ وغَيْرِها (مِما هِيَ مِنْ عُلُوْمِ الدنْيا) مَكَانَهُم مِنَ العِلْمِ؛ فَهُم لا يَعْلَمُوْنَ إلا ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدنْيا؛ بَلْ هَذَا مَبْلَغُهُم مِنَ العِلْمِ، كَمَا أنها عُلُوْمٌ يَشْتَرِكُ فِيْها كُل إنْسَانٍ وجَان (المُؤْمِنُ مِنْهُم والكَافِرُ)، ومَعَ هَذَا فَلَيْسَ لَهُم فِيْها مِـنْ

الأجْرِ شَيْءٌ، اللهُم إلا إذا جَعَلُوا مِنْ هَذِه العُلُوْمِ والصَنَاعَاتِ قُرُباتٍ، بَعْدَ اسْتِحْضَارِ قَصْدٍ ونياتٍ !

كَنِيةِ : التعَاوُن عَلَى البِر والتقْوَى بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، كَمَا يَنْوِيْهِ النجارُ والفَلاحُ وغَيْرُهُما مِنْ أهْلِ الحِرَفِ والِمهَن، و"إنمَا الأعْمَالُ بالنيـاتِ، وإنمَا لِكُل امْرِئٍ مَا نَوَى"[1].

وَمَهْمَا يَكُنْ؛ فالأجْرُ والخَيْرُ : فِي العِلْمِ الشرْعِي أصْلٌ وغَايَةٌ، وفِي غَيْره مِنَ عُلُوْمِ الدنْيا طَارِئٌ ووَسِيْلَةٌ !

وَهَذَا الذهَبِي رَحِمَه اللهُ أيضًا نَجِدُه يُعِيْبُ عِلْمَ النحْوِ الذِي هُـوَ أفْضَلُ وأكْمَلُ مِنْ عُلُوْمِ (القَوْمِ !) لاسِيمَا إذَا خَـرَجَ عَـنْ حَـده المَقْصُوْدِ، وذَلِكَ بِقَوْلِه : "النحْويْوْنَ لا بَأسَ بِهم، وعَلِمُهُـم حَسَـنٌ مُحْتَاجٌ إليه، لَكِن النحْوي إذا أمْعَنَ فِي العَرَبيةِ، وعَرِيَ عَـنْ عِلْـمِ الكِتَابِ والسنةِ بَقِيَ فَارِغًا بَطالاً لَعابًا، ولا يَسْألُه اللهُ والحَالَةُ هَذِه عَنْ

[1] ـ أخْرَجَهُ البُخَارِي (١)، ومُسْلِمٌ (١٩٠٧) .

عِلْمِه فِي الآخِرَةِ؛ بَلْ هُوَ كَصِنْعَةٍ مِنَ الصَنَائِعِ : كالطب والحِسَـابِ، والهَنْدَسَةِ لا يُثَابُ عَلَيْها، ولا يُعَاقَبُ إذَا لَمْ يَتَكَبرْ عَلَى النـاسِ، ولا يَتحَامَقْ عَلَيْهم، واتقى اللهَ تَعَالَى، وتَوَاضَعْ وَصَانَ نَفْسَهُ"[1] انْتَهَى .

***

كَمَا كَانَ مِنْ آخِرِ سَوَالِبِ هَذِه الشارَاتِ والألْقَابِ (الجَامِعِيةِ !) ؛ أن طَائِفَةً مِنَ المُنْتَسِبِيْنَ إلى قَبِيْلِ العِلْمِ الشرْعِي، مِمنْ تَشَاغَلُوا بِهَـذِه الأسْمَاءِ، وانْسَاقُوا جَرْيًا وَرَاءها السِنِيْنَ الخَوَالِيا، إنهُم (أيضًا) لَـمْ يَسْلَمُوا مِنْ دُخُوْلاتِ العَطَالَةِ المُغْلَقَةِ باسْمِ (الحَصَانَةِ الجَامِعِيةِ) !

وَكَأن القَوْمَ؛ لَمْ يَنْصُرُوا حَقًّا، ولَمْ يَكْسِرُوا بَاطِلاً : فَـلا أمْـرٌ بِمَعْرُوْفٍ ولا نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، ولا جِهَادٌ ولا اجْتِهَادٌ؛ بَلْ رَأيْنـا مِـنْ بَعْضِهم مَنْ كَانَ مُجِدا فِي الطلَبِ والطاعَةِ؛ حَتى إذا أوْحَـى إلَيْـه شَيَاطِيْنُ الإنْسِ والجِن بأهَمِيَةِ هَذِه الشارَاتِ والألْقَابِ ... إذا بِهِ يُصْبِحُ

---

[1] ـ "زَغَلُ العِلْمِ" للذهَبِي (٣٩) .

فَاتِرَ العَزِيْمَةِ، ذَابِلَ الطاعَةِ، قَلِيْلَ الاجْتِهَادِ والمُجَاهَدَةِ؛ أما إذا سَألتَ عَنْ الزهد وجَلَدِ الطاعَةِ، وهَيْبَةِ أهْلِ العِلْمِ ووَرَعِهم : فَلا تَسْألْ ؟، فتِلْكَ أمةٌ قَدْ خَلَتْ، إلا مَا رَحِمَ رَبي، وقَلِيْلٌ مَا هُم !

وهَكَذَا حَتى أصْبَحَ أهْلُ العِلْمِ الشرْعِي فِي هَامِش الذاكِرَةِ الإعْلامِيةِ، وفِي زَوَايا الجَامِعَاتِ العِلْمِيةِ !

* * *

ومِنْ آخِرِ نَحِسَاتِ أدْعِيَاءِ العِلْمِ الشرْعِي هَذِه الأيام، أن نَابِتَةً مِنْهُم لَمْ تَزَلْ تَنْفُخُ فِي رَوْعِ شَبَابِ المُسْلِمِيْنَ بَعْضَ العُلُوْمِ التجْرِيْبِيةِ، الوَافِدَةِ مِنْ مُسْتَنْقَعَاتِ الفِكْرِ الغَرْبي (الكَافِرِ)، ضَارِبِيْنَ بِعُلُوْمِ وكُتُبِ السلَفِ الصالِحِ عُرْضَ الحَائِطِ، مُزَاحِمِيْنَ مَا كَانَ عَلَيه المُسْلِمُوْنَ مِنْ الأمْرِ الأول : إنها العُلُوْمُ الإدَارِيةُ، والنفْسِيةُ (البَرْمَجَةُ العَصَبِيةُ اللغَوِيةُ)، وغَيْرُها !

فَلَيْتَ شِعْرِي؛ هَلْ نَسِيَ هُؤلاءِ (المُنَهَزِمُوْنَ) أن الأمةَ الإسْـلامِيةَ هَذِه الأيامَ فِي حَالٍ لا يُنَادَى وَلِيْدُها ؟ مِنْ جَهْلٍ بِدِيْنِهم، وَتفَرقٍ بَيْنَهُم، وضَعْفٍ لَدَيْهم...؟!، فإنْ كَانُوا عَلى عِلْمٍ بِهَذا؛ فَلِمَاذا هَذِه العُلُـوْمُ الدخِيْلَةُ الِتي تُرَوجُ وتُسَوقُ بَيْنَ شَبَابِ المُسْـلِمِيْنَ؛ حتـى أخَـذَتْ (للأسَفِ!) أخَادِيْدَ فِي قُلُوْبِ بَعْضِ طُلابِ العِلْمِ ؟!

* * *

قَالَ اللهُ تَعَالى : "قُلْ أَتَسْتَبْدِلُوْنَ الذِي هُـو أدْنَـى بالـذِي هُـوَ خَيْرٌ"[البقرة٦١]، وقَالَ تَعَالى : "قُلْ هَلْ نُنَبئُكُم بالأخْسَرِيْنَ أعْمَالاً، الذِيْنَ ضَل سَعْيُهُم فِي الحَيَاةِ الـدنْيا وهُـمْ يَحْسَـبُوْنَ أنهُـم يُحْسِـنُوْنَ صُنْعًا"[الكهف١٠٣-١٠٤].

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بن مَسْعُوْدٍ رَضِي اللهُ عَنْه : "كَيْفَ أنْتم إذا لَبِسَتْكُم فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيها الكَبِيْرُ، وَيَرْبو فِيها الصغِيْرُ، وَيتخِذُها الناسُ سُنةً، فإذا غُيرَتْ قَالُوا : غُيرَتِ السنةُ !

قَالُوا : وَمَتَى ذَلِكَ يا أبا عَبْدِ الرحْمَن ؟ قَالَ : إذا كَثُرَتْ قُراؤكُم، وقَلتْ فُقَهَاؤُكُم، وكَثُرَتْ أمَرَاؤُكُم، وقَلتْ أمَنَاؤُكُم، والْتمِسَتِ الدنْيا بعَمَلِ الآخِرَةِ"[1]!

* * *

فإني أعِيْذُكَ باللهِ يا مَنْ تَسْعَى فِي نَشْرِ هَذِه العُلُوْمِ الدخِيْلَةِ الهَجِيْنَةِ فِي بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، مِما يَلِي :

١ ـ أنْ يَنَالَكَ نَصِيبٌ مِنْ قَوْله صَلى اللهُ عَلَيْه وسَلمَ : " ... ومَنْ سَن فِي الإسْلامِ سُنةً سَيئَةً، فَعَلَيْه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ يَعْمَلُ بِها مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أوْزَارِهِم شَيْئًا"[2].

وَبَعْدَئِذٍ؛ فَلا تَنسَ يَا رَعَاكَ اللهُ!، مَا فَعَلَه المَأمُوْنُ يَوْمَ عُرِبَتْ فِي عَهْدِه عُلُوْمُ اليُوْنانِ، والفَلاسِفَةِ مِنَ اليَهُوْدِ والنصَارَى والهِنْدِ : مِثْلُ الطب، والحِسَابِ، والطبِيْعَةِ، والهَيْئَةِ، والمَنطِقِ ... فَلَما دَرَسَها الناسُ،

---

[1] ـ أخْرَجَهُ الدارِمِي فِي "مُسْنَدِه" (١٩١)، والحَاكِمُ فِي "المُسْتَدْرَكِ" (٥١٤/٤) وهُوَ صَحِيْحٌ .
[2] ـ أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠١٧) .

وَتَناقَلُوْها فِيْمَا بَيْنَهُم؛ ظَهَرَتْ بِسَبَبِها البِدَعُ والأَهْوَاءُ، وضَل وابْتَعَـدَ النَاسُ عَنْ عِلْمِ النُبوةِ ... فعِنْدَها كَانَ الضلالُ والانْحِرَافُ، والشـر الكَبِيْرُ، والفَسَادُ العَرِيْضُ !

لأجْلِ هَذا؛ كَانَ عَلَيْكَ أنْ تَقِفَ بِخَوْفِكَ عِنْدَ هَذَا العِلْمِ، لاسِيما إذَا عَلِمْتَ أن الذِيْنَ ضَلوا وأضَلوا بِهَذِه العُلُوْمِ الوَافِدَةِ وَقْتَئِذٍ : هُمُ مِـنَ العُلَمَاءِ !، فَكَيْفَ والحَالَةُ هَذِه إذا عَلِمَ الجَمِيْعُ أن مُعْظَمَ الذِيْنَ يَتَجَارُوْنَ وَرَاء هَذِه العُلُوْمِ النكِدَةِ، ويَتَقَاطَرُوْنَ عَلَى دَوْرَاتِها : هُمُ الشبَابُ مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ فاللهَ اللهَ فِيْهِم !

٢ـ لا يَخْفَاكَ يَا رَعَاكَ اللهُ؛ أن الأُمةَ بعَامةٍ تَعِيْشُ هَذِه الأيامِ جَهْلاً بدِيْنِها، لِذَا كَانَ الأوْلَى بِنا أنْ نَسْعَى حَثِيْثًا فِي عَوْدَةِ الأُمةِ إلى دِيْنِهـا أولاً، ثُم إذا كَانَ فِي الأمْرِ مُتسَعٌ فَعِنْدَئِذٍ يَكُوْنُ للكَلامِ فِي مِثْلِ هَـذِه العُلُوْمِ الوَافِدَةِ شَيْءٌ مِنَ البَسْطِ والتحْرِيْرِ !

فَكُل يَد مُدتْ إلى هَذِه العُلُوْمِ الوَافِدَةِ لِتَنْبُشَها بَعْـدَ أنْ أقْبِـرَتْ، وأصْبَحَتْ عِظَامًا نَخِرَةً، فَلَيْسَ لَها أنْ تُروجَها بَيْنَ أبْناءِ المُسْلِمِيْنَ، ظنا مِنْها أن الأسْمَاعَ فِي صَمَمٍ، وأن العُيُوْنَ فِي سُـبَاتٍ، وأن الأقْـلامَ والأنامِلَ لا تَجْتَمِعَان[1]؟!

٣ ـ ألَمْ يَأن لَنا أنْ تَخْشَعَ قُلُوْبنا لِمَا يَذْكُرُه أهْلُ هَـذِه العُلُـوْمِ التجْرِيْبِيةِ مِنَ الغَرْبِ والشرْق عَلى حَد سَوَاءٍ ؟ فَلَمْ يَزَلْ عُقَلاؤُهُم حتى سَاعَتِي هَذِه وهُم يَصِيْحُونَ بِخُطُوْرَةِ هَذِه العُلُوْمِ فِي غَيْرِ نَدْوَةٍ، أو لِقَاءٍ، أو دَوْرَةٍ تَدْرِيْبِيةِ !

* * *

* أما العَائِقُ الرابِعُ : فَهُوَ التخَصصُ العِلْمِي !، ومَا أدْرَاكَ مَا هُوَ ؟ إنه مِنْ التشَبهِ المَقِيْتِ والمَوْرُوْثِ العِلْمِي الوَافِدِ، يَوْمَ فَضَتِ الأقْضِيَةُ فِي

---

[1] ـ هُنَاكَ كَثِيْرٌ مِنَ الكُتُبِ العِلْمِيةِ الرادَةِ عَلى "البَرْمَجَةِ اللغَويةِ العَصَبِيةِ"، فَمِنْهـا : "البَرْمَجَـةُ اللغَويـةُ العَصَبِيةُ" فِي طَبْعَتِه الثانِيَةِ للأخ أحْمَدَ الزهْرَانِي، وهُو مِنْ أنفَسِها وأجْوَدِها، وكَذَا "الفِكْرُ العَقَدِي الوَافِدُ ومَنْهَجِيةُ التعَامُل مَعَه" للأخْتِ فَوْزَ بِنْتِ عَبْدِ اللطِيْفِ كُرْدِي، وهُو عِبَارَةٌ عَنْ مُذَكرَةٍ، كما أنه بَحْثٌ نَفِيْسٌ جَيدٌ فِي بَابِه .

زَمَانِنا؛ بَنُبُوْغِ نَوَابِتَ فِي صُفُوْفِ أهْل العِلْمِ قَدْ ألْبَسُوْهُم ثِيَابَ التخَصص، وَتوجُّوْهُم ألقَابًا وشَارَاتٍ مُهَلَلةً؛ فانْتَفَخُوا في العِلْمِ وهُم خَوَاءٌ، وَنَابَذُوا التَعَالُمُ وهُم سَوَاءٌ، يَوْمَ قَصُرَتْ هِمَمُهُم وبَلغَتْ عُلُوْمُهُم مِنَ العِلْمِ الشرْعِي جَوَانِبَ وُنَتفًا عِلْمِيةً، حَامِلِيْنَ في شَهَادَاتِهِمُ الجَامِعِيةِ تَجْزِئَةً وَتقْطِيْعًا لعُلُوْمِ الشرِيْعَةِ، وَتغْيِيْبًا لطَائِفَةٍ مِنْها عَنْ أحْكَامِ فِقْهِ الوَاقِعِ، وقَضَايَا الأمةِ المَصِيْرِيةِ؛ فَلا عِلْمَ بَلغُوْه، ولا عَمَلَ نَالُوْه، ولا وَاقِعَ فَهمُوْه !

وإما يَنْزغَنكَ يا طَالِبَ العِلْمِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الوَافِدِ الغَرْبِي، فاسْتَعِذْ باللهِ السمِيْعِ العَلِيْمِ مِنْه، ولا تطْرُقْ له بَابًا فإنه مِنْ أبْوَابِ الجُمُوْدِ العِلْمِي!

حَيْثُ جَاءَ بتَدَسسٍ إلى أمتِي بِثِيَابِ التشْوِيْه العِلْمِي ليَلْتبِطَ بِخُطَاه فِي مَسَارِحِ الجَامِعَاتِ الإسْلامِيةِ؛ ليُفْسِدَ حَرْثَ مَا بَقِيَ مِنَ العِلْمِ الشامِل، وَنسْل مَا بَقِيَ مِنَ العَمَل الكَامِل .

***

واعْلمْ يَا رَعَاكَ اللهُ أن التخَصصَ العِلْمِي (الجَامِعي) قِسْمَان : مَحْمُوْدٌ، ومَذْمُوْمٌ .

* فأما التخَصصُ المَحْمُوْدُ : فَهُو مَنْ جَمَعَ صَاحِبُه بَيْنَ القَدْرِ الوَاجِبِ مِنَ العُلُوْمِ الشرْعِيةِ (الغَائي مِنْها والآلي)[1]، وبَيْنَ التوَسعِ والتفَنن في عِلْمٍ ما .

وهَذَا؛ هُوَ الذِي أتيَ صَاحِبُه مِنَ العُلُوْمِ الشرْعِيةِ نَصِيْبٌ وَافِرٌ تبرَأ بِه الذمةُ وَيَسْقُطُ بِه الطلَبُ، مَعَ تخَصصٍ وتفَننٍ في أحَدِ العُلُوْمِ الشرْعِيةِ .

فَتَرَاهُ إذا كَانَ فَقِيْهًا (مَثَلاً) : قَدْ أخَذَ مِنْ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ : القَدْرَ الوَاجِبَ الذِي يُسَاعِدُه عَلى فَهْمِ دِيْنِه بعَامةٍ، وبالفِقْهِ بخَاصةٍ، إلا أنه مَعَ هَذَا قَدْ اجْتَهَدَ في فَن الفِقْهِ، وَبرزَ فِيْه؛ حَتى عُرِفَ بِهِ ولُقبَ باسْمِه ... فَقِسْ عَلى قَوْلي تَكُنْ عَلامةً !

[1] ـ عُلُوْمُ الغَايَةِ مِثْلُ : العَقِيْدَةِ، والحَدِيْثِ، والفِقْهِ، والتفْسِيْر . وعُلُوْمُ الآلَةِ مِثْلُ : النحْوِ، واللغَةِ، وأصُوْلِ الفِقْهِ، ومُصْطَلحِ الحَدِيْثِ، والمَنطِقِ ... إلخ .

ومِنْه تَعْلمُ قَوْلَ المُتقَدِمِيْنَ : فُلانٌ أصُوْلي، فَقِيْهٌ، نَحْوي، لُغَـوِي، مُفَسرٌ، مُحَدثٌ، قَارِئٌ، مُشَارِكٌ ... إلخ.

* * *

* وأما التخَصصُ المَذْمُوْمُ : فَهُوَ مَنْ لَمْ يَجْمَعْ صَاحِبُه بَيْنَ مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا، اللهُم إنه تَوَسعَ وَتفَنَنَ فِي عِلْمِ ما (الغَائي مِنْها أو الآلي)، دُوْنَ غَيْره مِنَ العُلُوْمِ الشرْعِيةِ .

فَتَرَاهُ إذا كَانَ فَقِيهًا (مَثَلاً) : لَمْ يَأخُذْ مِنْ عُلُوْمِ الآلَةِ، وعُلُـوْمِ الغَايَةِ : القَدْرَ الوَاجِبَ الذِي يُسَاعِدُه عَلى فَهْمِ دِيْنِه بِعَامةٍ، وبالفِقْـهِ بِخَاصةٍ؛ بَلْ غَايَةُ مَا عِنْدَه أنه يُحْسِنُ مَسَائِلَ الفِقْهِ !

ومِنْه تَعْلمُ قَوْلَ المُتأخرِيْنَ : فُلانٌ أصُوْلي، فَقِيْهٌ، مُحَدثٌ، نَحْـوِي، مُفَسرٌ، قَارِئٌ، دَعَوِي، وَاعِظٌ ... إلخ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَانَ كَلامِي هُنَا عَنْ أصْحَابِ هَذَا التخَصص، فَكُنْ عَلى ذُكْرٍ !

* * *

ومِنْ بَعْدُ؛ فإن أصْحَابَ التخَصص العِلْمِي (المَذْمُوْمِ) لَمْ يَنفَكـوا عَنْ أخْطَاءَ شَرْعِيةٍ وآثَارٍ سَيئَةٍ؛ قَدْ دَفَعَتِ الأمةَ الإسْلامِيةَ (لاسِيمَا هَذِه الأيامِ) إلى مَفَاوِزَ مُهْلِكَةٍ، ومَزَالِقَ عِلْمِيةٍ، يَكْفِي بَعْضُها لِمَسْخِ مَا بَقِيَ مِنْ تُرَاثِ أمتِنا الإسْلامِيةِ، فمِنْ ذَلِكَ :

أولاً : أن التخَصصَ العِلْمِي الحَادِثَ بِقِسْمَيْهِ (الغَائِي والآلـي)، كَمَا هُوَ جَارٍ فِي خِطةِ تَعْلِيْمِ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ الآنَ؛ قَدْ أخَذَ مَنْحىً خَطِيْرًا فِي تَقْطِيْعِ أوَاصِرَ الترَابُطِ بَيْنَ عُلُوْمِ الشرْعِيةِ، وَتَقْسِيْمِها إلى أجْـزَاءَ عِلْمِيةٍ ومُتَفَرقَاتٍ مُتَنَاثِرَةٍ هُنَا وهُنَاكَ؛ لا يَجْمَعُها جَامِعٌ بَتةً؛ فَعِنْدَها كَانَ الأثَرُ السيئُ عَلَى الحَيَاةِ العِلْمِيةِ والأحْكَامِ الشرْعِيةِ لَدَى طُلابِ العِلْمِ هَذِه الأيامِ .

يُوَضحُهُ؛ أنه لما أزِفَتِ الآزِفَةُ، وأقْبَلَتِ الفِتَنُ فِي مَسَارِبَ مُهْلِكَةٍ، مُنْقَادَةً لِتُعِيْدَها حَرْبًا صَلِيْبِيةً يَهُوْدِيةً عَلَى الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ فِي بِلادِ فِلِسْطِيْنَ وأفْغَانِسْتَانَ والعِرَاقِ وغَيْرِها، وكَذَا مَا هُنَاكَ مِنْ هُجُوْمٍ سَافِرٍ عَلَى أخْلاقِ

المُسْلِمِيْنَ، ومَنَاهِجِهِم الشرْعِيةِ، إلى غيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَضَايا الأمةِ العَصْرِيةِ ...

وَنَحْنُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ نَزَلْ نَرَى كَثِيْرًا مِنْ أرْبَابِ التخَصص يَعْتَذِرُوْنَ عَنْ تَخَاذُلِهم وتَرَاجُعِهم عَنْ عَدَمِ المُشَارَكَةِ فِي الذب عَنْ قضايا أمتِهم بِحُجةِ النزْعَةِ البَائِسَةِ التِي رَاجَتْ فِي سُوْقِ أهْلِ العِلْمِ باسْمِ : التخَصص العِلْمِي !

يُوَضحُه : أن الفَقِيْه مِنْهُم (مَثلاً) مِمنْ لَهُ مُجْمُوْعَةٌ مِنَ التآلِيْفِ الفِقْهِيةِ، والتحْقِيْقَاتِ الجَامِعِيةِ التِي نَالَتْ مَرْتَبَةَ الشرَفِ ... مَا زَالَ يَعْتَذِرُ عَن المُشَارَكَةِ فِي قَضَايا أمتِه الإسْلامِية : بأن مَا يَدُوْرُ هُنَا لَيْسَ مِنْ تخَصصِه، وهَذَا مَا نَجِدُه فِي الأعَم الأغْلَبِ مِنْهُم !

هَذَا إذَا عَلِمْتَ (للأسَفِ) إن أمْثَالَ هَذَا الفَقِيْهِ مِنْ أهْلِ زَمَانِنا قَدْ تجَاوَزَتْ أعْدَادُهُم المِئَاتِ، وقِسْ عَلَى هَذَا : صَاحِبَ العَقِيْدَةِ والتفْسِيْرِ والحَدِيْثِ، واللغَةِ وغيْرِهِم .

وَمَهْمَا يَكُنْ؛ فَلا تَعْجَبْ يَا طَالِبَ العِلْمِ إذَا عَلِمْتَ أن القَوْمَ كَانُوا صَرْعَى التخَصصَاتِ العِلْمِيةِ، وَنَتَاجَ الوَافِدِ الغَرْبِي، واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُوْنَ !

* * *

ثَانِيًا : اعْلَمْ أن فَهْمَ عُلُوْمِ الآلَةِ عَلَى قِسْمَيْن :

القِسْمُ الأولُ : فَهْمٌ وَاجِبٌ، وهُوَ مَا يَسْقُطُ بِه الطلَبُ وتَبْـرَأ بِـه الذمةُ، وهُوَ القَدْرُ الذِي يَشْتَرِكُ فِيْهِ عَامةُ أهْل العِلْمِ، وهَذَا القِسْـمُ لا يَجُوْزُ لطَالِبِ العِلْمِ القُصُوْرُ فِيْه ... كما أنه سِلاحُ طلابِ العِلْمِ فِـي التعَامُلِ مَعَ كُتبِ أهْل العِلْمِ الفِقْهِيةِ مِنْهَا والعَقِيْدَةِ والحَدِيْثِ والتفْسِيْر وغَيْرِها؛ فبِهَذا القَدْرِ مِنْها يَسْتَطِيْعُ مَعْرِفَةَ لُغَةِ واصْطِلاح القَـوْمِ فِـي فُنُوْنِهم، وَمَا زَادَ عَلَى هَذا الحَد فَهُو فُضْلَةٌ لا يَحْتَاجُه إلا مَنْ رَامَ مَرَاتِبَ الاجْتِهَادِ !

القِسْمُ الثاني : فَهْمٌ مُسْتَحَب، وهُو الإحَاطةُ بَغَالِبِ عُلُـوْمِ الآلَـةِ المُخْتَصَرَاتِ مِنْها والمُطَولاتِ؛ بِحَيْثُ لا يَتْرُكُ مِنْها شَارِدَةً ولا وَارِدَةً إلا وَقَدْ أحَاطَ بِها فِي الجُمْلَةِ !، وهَذا القِسْمُ فِي حَقِيْقَتِه هُوَ مِنْ مَسَـالِكِ طُلابِ مَنازِل الاجْتِهَادِ، مِمنْ عَلَتْ هِمتُهُم وَتاقَتْ نُفُوْسُهُم لِيَقِفُوا فِي مَصَافِ أئِمةِ الاجْتِهَادِ، كالأئمةِ الأرْبَعَةِ وغَيْرِهِم .

يَقُوْلُ الإمَامُ الذهَبِي رَحِمَه اللهُ فِيْمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ والكَلامِ عَنْـه : "أُصُوْلُ الفِقْهِ لا حَاجَةَ لَكَ بِه يا مُقَلدُ، وَيا مَنْ يَزْعُمُ أن الاجْتِهَادَ قَدْ انْقَطَعَ !

وَمَا بَقِيَ مُجْتَهِدٌ ولا فَائِدَةَ فِي أُصُوْل الفِقْهِ، إلا أنْ يَصِيْرَ مُحَصلُهُ مُجْتَهِدًا بِه، فإذَا عَرَفَه ولَمْ يَفُك تَقْلِيْدَ إمَامِهِ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا؛ بَلْ أتْعَبَ نَفْسَه ورَكبَ عَلَى نَفْسِه الحُجةَ فِي مَسَائِلَ، وإنْ كَانَ يَقْرأُ لِتَحْصِـيْل الوَظَائِفِ ولِيُقَالَ، فَهَذَا مِنَ الوَبَال، وهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الخَبَال"[1] انْتَهَى .

---

[1] ـ "زَغَلُ العِلْمِ" للذهَبِي (٤١) .

فانظُرْ يَا رَعَاكَ اللهُ إلى قَوْله : "وَمَا بَقِيَ مُجْتَهِدٌ ولا فَائِدَةَ فِي أُصُوْل الفِقْهِ، إلا أنْ يَصِيْرَ مُحَصلهُ مُجْتَهِدًا بِه"، لِتَعْلمَ أن كَثِيْرًا مِنْ أهْل التخَصص فِي أُصُوْل الفِقْهِ قَدْ غَالُوا وكَابَرُوا هَذَا العِلْمَ، وهُمْ مَعَ هَذَا لا يَتجَاوَزُونَ فِي قِرَاءاتِهم كُتُبَ الفِقْهِ المُدَونَةِ، هَذَا إذَا عَلِمْنا أن الاجْتِهَادَ المُطْلَقَ فِي زَمَانِنا مُنْدَثِرٌ بَيْنَ أهْلِه مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيْدٍ؛ فَلا حَوْلَ ولا قُوةَ إلا باللهِ تَعَالى !

ومِنْ خِلال مَا مَضَى؛ نَسْتَطِيْعُ أنْ نَقِفَ عَلى بَعْض الأخْطَاءِ العِلْمِيةِ التِي كَانَتْ حَصِيْلةَ المُتَخَصصِيْنَ فِي عُلُوْمِ الآلَةِ باخْتِصَارٍ :

١ ـ أن التخَصصَ والتفَننَ فِي عُلُوْمِ الآلَةِ لا يَكُوْنُ إلا لِمَنْ رَامَ دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ، وإلا وَقَعْنا فِي حَيْصَ بَيْصَ، وهَذَا لا نَجِدُه عِنْدَ أهْل التخَصص مِنْ أهْل زَمَانِنا !

٢ ـ أن كَثِيْرًا مِنَ المُتَخَصصِيْنَ فِي أُصُوْل الفِقْهِ (مَثَلاً) مِنْ أهْل مِصْرِنا فِي هَذِه البِلادِ (حَفِظَها اللهُ مِنْ كُل سُوْءٍ) نَرَاهُم لا يَفْرَؤُوْنَ

مِنْ كُتبِ الفِقْهِ غَالِبًا إلا كُتبَ الفِقْهِ الحَنبلِيةِ ابْتِدَاءً مِنْ "زَادِ المُسْتَقْنِع"، وانْتِهَاءً بِـ "المُغْنِي"، ومَهْمَا اتسَعَتْ قِرَاءتُه لكُتبِ الفِقْهِ الأُخْرَى، فإنه أبْعَدَ مَا يكُوْنُ عَنْ مَرَاتِبِ الاجْتِهَادِ .

وهَذَا فِي حَد ذَاتِه يُعْتَبَرُ تَضْيِيْعًا للأوْقَاتِ، وتَبْدِيْدًا للطاقَاتِ لَـدَى طُلابِ التخَصص؛ حَيْثُ نَجِدُه يَسْتَكْثِرُ مِنْ قِرَاءةِ "أصُوْل الفِقْهِ" سَوَاءٌ عِنْدَ الأحْنَافِ، أو المَالِكيةِ، أو الشافِعيةِ، أو الحَنابِلةِ ... كُـل هَـذَا (للأسَفِ) عَلى حِسَابِ الفِقْهِ الشرْعِي العَالِي !

* * *

ثَالثًا : إذَا عَلِمْنا أن عُلُوْمَ الغَايةِ مِنْ مَقاصِدِ الشرِيْعَةِ، وأن عُلُـوْمَ الآلةِ مِنْ الوَسَائِل، والحَالةُ هَذِه كَانَ مِنَ الخَطأ البَين، والفَسَادِ الوَاضِح أنْ نُغَلبَ جَانِبَ الوَسَائِل عَلى المَقاصِدِ، وإلا كنا مُغَالِيْنَ، مُتَكَلفِيْنَ .

وَمَا أحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ العَلامَةُ ابنُ خُلْدُونٍ رَحِمَهُ اللهُ : "وأما العُلُوْمُ التِي هِيَ آلةٌ لِغَيْرِها : مِثْلُ العَرَبيةِ والمَنطِقِ وأمْثَالِهما؛ فَلا يَنْبَغِي أنْ يُنظَرَ فِيْها إلا

مِنْ حَيْثُ هِي آلَةٌ لِذَلِكَ الغَيْرِ فَقَطْ، ولا يُوَسعُ فِيْها الكَلامُ، ولا تُفَـرعُ المَسَائِلُ؛ لأن ذَلِكَ يُخْرِجُ بِا عَن المَقْصُوْدِ، فكُلَما خَرَجَتْ عَن المَقْصُوْدِ، صَارَ الاشْتِغَالُ بِهَا لَغْوًا، ورُبمَا يَكُوْنُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنْ تَحْصِـيْل العُلُـوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذاتِ لِطُوْل وَسَائِلِها؛ مَعَ أن شَأنَها أهَم، والعُمُرُ يَقْصُرُ عَـنْ تَحْصِيْل الجَمِيْعِ عَلَى هَذِه الصوْرَةِ، فَيَكُوْنُ الاشْتِغَالُ بِهَذِه العُلُوْمِ الآلِيـةِ تَضْيِيْعًا للعُمُر وشُغُلاً بِمَا لا يُغْنِي!

وهَذَا كَمَا فَعَلَهُ المُتأخرُوْنَ فِي صِنَاعَةِ النحْو، وصِنَاعَةِ المَنْطِق، لا بَـلْ وأُصُوْل الفِقْهِ؛ لأنهُم أوْسَعُوا دَائِرَةَ الكَلامِ فِيْها نَقْلاً واسْتِدْلالاً، وأكْثَرُوا مِنَ التفَارِيْعِ والمَسَائِل بِمَا أخْرَجَها عَنْ كَوْنِها آلَةً، ورُبما ذَكَرُوا مَسَائِلَ لا حَاجَةَ بِها فِي العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذاتِ، فإذَا قَطَعُوا العُمْرَ فِـي تَحْصِـيْل الوَسَائِل فَمَتى يَظْفَرُوْنَ بالمَقاصِدِ؟، فلِهَذَا يَجِبُ عَلَى المُعَلمِيْنَ لِهَذِه العُلُوْمِ

الآلِيةِ أنْ لا يَسْتَبْحِرُوا فِي شَأنِهَا، ولا يَسْتَكْثِرُوا مِنْ مَسَائِلِها، ويُنَبهُ المُتَعلمَ عَلَى الغَرَض مِنْها"[1].

* * *

رَابعًا : أن العِلاقةَ بَيْنَ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ عِلاقَةٌ طَرْدِيةٌ، لاسِيمَا مِنْ جِهَةِ الوَسَائِل، فَعِنْدَئِذٍ كُلمَا ازْدَادَ طَالِبُ العِلْمِ مِنْ عُلُوْمِ الآلَةِ، كَـانَ عَلَيْه أنْ يَزْدَادَ مِنْ عُلُوْمِ الغَايَةِ ضَرُوْرَةً، وإلا كَانَ هَذَا تَنَاقُضًـا بَيِّنًـا، وخَلَلاً وَاضِحًا فِي الطلَبِ والقَصْدِ .

ومِنْه نَعْرِفُ حِيْنَئِذٍ : الخَبْثَ العَظِيْمَ الذِي لَمْ يَـزَلْ يَتَنَاقَلُـهُ أهْـلُ التخَصص العِلْمِي هَذِه الأيامِ، يَوْمَ نَرَاهُم لا يَتقَيدُوْنَ بِهَذِه القَاعِـدَةِ الطرْدِيةِ بَيْنَ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ، فَتَجِدُ أحَدَهُم قَدْ طَالَ بِهِ العُمُرُ فِـي تَحْصِيْل : أُصُوْل الفِقْهِ (مَثَلاً) وهُوَ لا يُحْسِنُ مِنَ الفِقْهِ إلا مَا يُحْسِنُه طُلابُ العِلْمِ المُبْتَدِئِيْنَ، وهَذَا الصنِيْعُ مِنْهُم مِما يَزِيْـدُنا يَقِيْنًـا بِـأن

---

[1] ـ "المُقَدمةُ" لابن خُلْدُون (٦٢٢/١) بتَصَرفٍ واخْتِصَارٍ .

التخَصصَ العِلْمِي : زَغَلٌ فِي العِلْمِ، ودَسِيْسَةٌ فِي الطلبِ، واللهُ الموَفقُ والهَادِي إلى سَوَاءِ السبِيْل !

* * *

* أما العَائِقُ الخَامِسُ : فَهُوَ فُضُوْلُ المبَاحَاتِ، ومَا أدْرَاكَ مَا فُضُوْلُ المبَاحَاتِ؟ إنهَا المهْلِكَاتُ، فإذَا كَانَ المَاءُ لا يَجْتَمِعُ مَعَ النارِ، فَكَذَلِكَ طَالبُ العِلْمِ لا يَجْتَمِعُ مَعَ فُضُوْل المبَاحَاتِ، وحَسْبُكَ مِنْها : فُضُوْلُ النظَرِ، والكَلامِ، والطعامِ، والنوْمِ، ومُخَالَطَةِ الناسِ، فإن التوَسعَ فِي هَذِه المبَاحَاتِ يَرِيْدُكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ إلى المَعَاصِي .

فَيَا للأسَفِ!؛ لَقَدْ تَوَسعَ كَثِيْرٌ مِنْ طُلابِ العِلْمِ مِنْ أهْل زَمَانِنا فِي فُضُوْل المبَاحَاتِ؛ مِما أبْعَدَهُم عَن التحْصِيْل، ورُبمَا انْقَطَعَ بِهِم الطلبُ، وهُم بَعْدُ لَمْ يَتَغَرْغَرُوا بالعِلْمِ !

فالحَذَرَ الحَذَرَ يا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ فُضُوْلِ المُباحَـاتِ، يَقُـوْلُ ابـنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ اللهُ : "واعْلَمْ أن فَتْحَ بَابِ المُبَاحَاتِ رُبمَا جَر أذىً كَثِيْرًا فِي الدِّيْنِ!"[١].

وَيقُوْلُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : "إمْسَاكُ فُضُوْلِ النظَـرِ، والكَـلامِ، والطعامِ، ومُخَالَطَةِ الناسِ؛ فإن الشَّيْطَانَ إنمَا يَتَسَلطُ عَلَى ابـنِ آدَمَ، وَيَنَالُ غَرَضَه مِنْه مِنْ هَذِه الأبْوَابِ الأرْبَعَةِ!"[٢].

وقَالَ أيضًا رَحِمَهُ اللهُ : "قَسْوَةُ القَلْبِ فِي أرْبَعَةِ أشْيَاءٍ إذَا جَاوَزَتْ قَدْرَ الحَاجَةِ : الأكْلُ، والنوْمُ، والكَلامُ، والمُخَالَطَةُ!"[٣].

* * *

وَمَا أحْسَنَ هَذِه النصِيْحَةَ السنِيةَ إذْ يَقُوْلُ فِيْهَا ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : "قَالَ لِي شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيةَ ـ قَدسَ اللهُ رُوْحَهُ ـ فِي شَيْءٍ مِنَ

[1] ـ "صَيْدُ الخَاطِرِ" لابن الجَوْزي (٢١٤) .
[2] ـ "بَدَائِعُ الفَوَائِدِ" لابن القَيِّمِ (٢/٢٢٩) .
[3] ـ "الفَوَائِدُ" لابن القَيِّمِ (١٤٦) .

المُبَاحِ : هَذَا يُنَافِي المَرَاتِبَ العَالِيَةَ، وإنْ لَمْ يَكُنْ تَرْكُـه شَـرْطًا فِـي النجَاةِ"[1].

وأخْتِمُ بِهَذِه النصِيْحَةِ مِنْ قَوْلِ الحَسَنِ البَصْرِي رَحِمَهُ اللهُ : "كَانَ الرجُلُ إذَا طَلَبَ العِلْمَ؛ لَمْ يَلْبَثْ أنْ يُرَى ذَلِكَ فِي تَخَشعِهِ، وَبصَرِه، وَيَدِه، وصَلاتِه، وزُهْدِه، وإنْ كَانَ الرجُلُ لَيصِيْبُ البَابَ مِنْ أبْـوَابِ العِلْمِ فَيَعْمَلَ بِه؛ فَيَكُوْنَ خَيْرًا لَه مِنَ الدنْيا وَمَا فِيْها"[2].

* * *

كما أضف هنا أن بَرْنامَجَنا فِي (المَنْهَجِ العِلْمِي)، كَانَ مَبْنِيا عَلَـى طَرِيْقَةٍ خَاصةٍ مَعَ طُلابِنا (لَيسَ إلا !)، لِذَا لما لَمَسْنا ثَمَرَتَه عَلى طُلابِنَا، وَتَنافُسَهُم فِيْه، أرْتَأيْنا نَشْرَهَا لعُمُوْمِ الفَائِدَةِ لَدَى أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ عَلَهَا تَنْشُرُ مَوَاتَ أفْئِدَةٍ أخْرَى رَانَ عَلَيها الجَهْلُ، واسْتَعْبَدَتْهَا لُعَاعَةٌ مِنْ دُنْيا زَائِلَـةٍ، واللهُ المُوفقُ والهَادِي إلى سَوَاءِ السبِيْلِ .

---

[1] ـ "مَدَارِجُ السالِكِيْنَ" لابن القيم (٢/٢٠٢) .

[2] ـ "الزهْدُ" للحَسَنِ البَصْرِي (٩٢)، و"أخْلاقُ العُلَمَاءِ" للآجُرِي (٨٩) .

وخِتَامًا؛ فَقَدْ ألقَى القَلمُ عَصَاهُ، واسْتقَر بِه النوَى، فَمَا أجَادَ بِه فَمِـنْ فَضْلِ رَبي، ومَا أخَطأ فِيْه فَمِني والشيْطَان، واللهُ ورَسُوْلُه مِنْه بَرِيْئان .

والحَمْدُ للهِ رَب العَالمِيْنَ، والصلاةُ والسلامُ عَلى عَبْدِهِ ورَسُوْلِهِ الأمِيْن

كَتَبَهُ
ذِيابُ بنُ سَعَدٍ آلِ حَمْدَانَ الغَامِدِيُّ

* * *

الخَاتِمَةُ

قَبلَ أنْ أطْويَ بِسَاطَ (المَنْهَجِ العِلْمِي)، وقَبلَ أنْ أرْفَعَ القَلَمَ عَنْ تَرْسِيْمِ مَنَارَاتِه؛ كَانَ حَقًّا أنْ نَجُر ذَيْلَ التَوَاصُل بَيْنَنا فِي ثَوْبِ النصِيْحَةِ؛ عَسَـانا نَضَعُ عَنا بَعْضَ مَا هُنَالِكَ مِنْ آثَامٍ تَرَكَتْها الأمةُ فِي مَنَافِعَ وَحْلَةٍ، وأنْقَابٍ مُنْسَرِبَةٍ؛ يَوْمَ تَمَطى البَاطِلُ بكَلْكَلِهِ، واسْتَأسَدَ الكَافِرُ بِصَلْصَلِه؛ لِيَقْضِـيَ أمْرًا كَانَ مَفْعُوْلاً، فَعِنْدَها اسْتَوْسَعَ الوَهْيُ، واسْتَنْهَرَ الفَتقُ، كُل ذَلِكَ لَيأخُذَ فِي دَرْس مَا بَقِيَ مِنْ رُسُوْمِ العِلْمِ، وَتَحْرِيْفِ هُويةَ الإسْلامِ العَالِقَـةِ فِـي ذَاكِرَةِ التارِيْخ !

لأجْلِ هَذا؛ حُمِلتُ أمَانَةَ القَلَمِ مَا دُمتُ قَدْ نَصبْتُ نَفْسِي للدفَاعِ عَنْ أمتي دِفَاعًا لا أتلَجْلَجُ فِيْه ولا أحْجِمُ مَا اجْتَمَعَ قَلَمِي بالأنامِل، وجَـرَى مِدَادِي بالكَاغَدِ .

فَظَني وظَنكَ بأنه زَمَنُ الإنْكِسَارَاتِ، وقَرْنُ العَشَاوَاتِ والشارَاتِ ...

لِذَا فَقَدْ حَصْحَصَ للنصِيْحَةِ وَقْتُها، واسْتَوْجَبَ فِي هَذَا (المَنْهَجِ العِلْمِي) بَثها، بأنْ أصْدَعَ بالحَق جِهارًا فِي غَيْرِ جَمْجَمَةٍ ولا إدْهَانٍ، ولأصْرِفَ عَنْ

أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ دُخُوْلاتِ العِلْمِ وأغْلُوْطَاتِه، وذَلِكَ فِي كَشْفِ حَقَائِقَ مِنَ الدْين مَعْلُوْمَةٌ ومِنَ العِلْمِ مَعَالِمُ مَوْسُوْمَةٌ !

وهُوَ أن مُقْتضَى العِلْمِ العَمَلُ، فَهُما مُتلازِمَانِ مُتَآلِفَان، وإلا عَادَ العِلْمُ عَلَى صَاحِبِه وَبالاً وَنكَالاً (عَوْذًا باللهِ)، وبِمَا أن طَالِبَ العِلْمِ مُسْتَوْدَعُ العِلْمِ، ومَرْجِعُ الفَهْمِ؛ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْه أنْ يَمُد للْعِلْمِ حِبَالَ العَمَل، مَا اسْتَوْثَقَ الحَق بأهْلِه .

أما إنْ سَألتَ أخِي طَالِبَ العِلْمِ عَنْ فَرْض الوَقْتِ، ومَبَاغِي العِلْمِ ومُقْتضَيَاتِه الآنَ : فَهُو دَفْعُ العَدُو الصائِل عَن الحُرْمَةِ والدْين، لأنه وَاجِبٌ إجْمَاعًا، فالعَدُو الصائِلُ الذِي يُفْسِدُ الدْينَ والدْنيا لا شَيْءَ أوْجَبَ بَعْدَ الإيْمَان مِنْ دَفْعِه !

وهَذَا مَا نَص عَلَيْه ابنُ تيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بقَوْلِه : "وأما قِتَالُ الدفْع فَهُو أشَد أنْوَاعِ دَفْعِ الصائِل، ودَفْعُ الصائِل عَن الحُرْمَةِ والدْين، وَاجِبٌ إجْمَاعًا، فالعَدُو الصائِلُ الذِي يُفْسِدُ الدْينَ والدْنيا لا شَيْءَ أوْجَبَ بَعْدَ

الإيمان مِنْ دَفْعِه، فَلا يُشْتَرطُ له شَرْطٌ؛ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الإمْكان، وقَدْ نَص عَلَى ذَلكَ العُلَمَاءُ، أصْحَابُنا وغَيْرُهُم، فَيَجِبُ التفْرِيْقُ بَيْنَ دَفْعِ الصائِل الظالِمِ الكَافِر، وبَيْنَ طَلَبِه فِي بِلادِه"[1].

فإذَا عُلِمَ أن الأعْدَاءَ هَذِه الأيامَ قَدْ سَامُوْنا خِطةَ خَسْفٍ؛ كَـانَ مِـنَ الوَاجِبِ عَلَى المُسْلِمِيْنَ لاسِيمَا العُلَمَاءُ مِنْهُم وطُلابُ العِلْمِ أنْ يَنْفِرُوا خِفَافًا وثِقَالاً لِجِهَادِ عَدُوهِم الصائِل وإخْرَاجِهِ مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ لاسِيما فِلِسْطِيْنَ وغَيْرِهَا مِمنْ سَلَبَتْها أيْدِي الأعَادِي، وكُل بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِه !

فَيا طَالِبَ العِلْمِ : لا يَرَاكَ اللهُ (هَذِه الأيامَ) إلا سَائِرًا فِـي نُخَـبِ المُجَاهِدِيْنَ، الذِيْنَ هُمْ أباةُ ذُل، ولُيُوْثُ غَابَةٍ، فَكُنْ مَعَهُم بِبَدَنِكَ، أو مَالِكَ، أو لِسَانِكَ، أو قَلَمِكَ، وإلا بِقَلْبِكَ وذَلِكَ أضْعَفُ الإيْمَان .

---

[1] ـ "الاخْتِيَارَاتُ الفِقْهِيةُ" للبَعْلِي (٤٤٧) .

فأما؛ وإنْ أحَاطَ بالمُسْلِمِ مَا يَمْنَعُه الجِهَادَ هَذِه الأيامَ، أو حَالَ دُوْنَ ما يَتَمَنى كَيْدُ الكائِدِيْنَ؛ فَلَهُ والحَالَةُ هَذِه أنْ يَتَسَلى بِهَذا (المْنَهَجِ العِلْمِي) عَسَاهُ يَكُوْنُ الفَرَجُ قَرِيْبًا إنْ شَاءَ اللهُ !

والحَمْدُ للهِ رَب العَالَمِيْنَ، ولا عُدْوَانَ إلا عَلَى الظالِمِيْنَ

* * *

اللطَائِفُ العِلْمِيةُ

لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ . (   )

مَنْ طَلَبَ الراحَةَ تَرَكَ الراحَةَ . (   )

قِيْمَةُ كُل امْرئٍ مَا يُحْسِنُ . (   )

قِيْمَةُ كُل امْرئٍ مَا يَطْلُبُ . (   )

العِلْمُ ذَكَرٌ يُحِبهُ ذُكُوْرَةُ الرجَال، وَيكْرَهُهُ مُؤنثُوْهُم . (   )

كُنْ رَابِعَ أرْبَعَةٍ : عَالِمًا، أو مُتَعَلمًا، أو مُسْتَمِعًا، أو مُحِبا، ولا تَكُنْ الخَامِسَ فَتهْلَكَ. (   )

ازْدِحَامُ العُلُوْمِ مَضَلةُ الفُهُوْمِ . (   )

حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وِقْرَيْنِ، وفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وِقْرَيْنِ . (   )

مَنْ لَمْ يُتْقِنْ الأُصُوْلَ؛ حُرِمَ الوُصُوْلَ . (   )

مَنْ حُرِمَ الدلِيْلَ، ضَل السبِيْلَ . (   )

لا تُكَاثِرَ العِلْمَ، فإنمَا هُوَ أوْدِيَةٌ، فأيها أخَذَتْ فِيْه قبْلَ أنْ تبْلُغَهُ قُطِعَ بِكَ،

ولَكِنْ خُذْهُ مَعَ اللّيَالِي والأيامِ . ( )

العِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَلِ، فإنْ أجَابَهُ وإلا ارْتَحَلَ . ( )

إذَا أحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فأحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، ولا يَكُنْ هَمكَ أنْ تُحَدثَ بِهِ .

( )

عِلْمُ المُنَافِقِ فِي قَوْله، وعِلْمُ المُؤْمِنِ فِي عَمَلِه . ( )

زَينُوا العِلْمَ، ولا تَتَزَينُوا بِه . ( )

إذَا أخْطَأَ العالم "لا أدْري" فَقَدْ أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُهُ . ( )

"لا أدْري" نِصْفُ العِلْمِ . ( )

الجَهْلُ "بلا أدْري" الجَهْلُ كُلُهُ . ( )

تَعَلمْ لا أدْري، فإنكَ إنْ قُلْتَ : لا أدْري، عَلمُوْكَ حَتى تَدْري، وإنْ قُلْتَ :

أدْري، سَأَلُوْكَ حَتى لا تَدْري . ( )

كُتبِ السلفِ : هِي السمُعُ والبَصَرُ؛ فَحَرَامٌ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ أنْ يَتَبصر عِلْمًا دُوْنَها، أو يَتَسَمعَ عَمَلاً غَيْرَها . (   )

العِلْمُ دِيْنٌ فاْنظُرُوا عَمنْ تَأخُذُوْنَ دِيْنَكُم . (   )

إذَا رَأْيْتُم العَالِمَ مُحِبًا لدُنْيَاه؛ فاتهمُوْهُ عَلَى دِيْنِكِم، فإن كُل مُحِب لشَيْءٍ يَحُوْطُ ما أحَب . (   )

إنكَ لا تَفْقَهُ حَتى لا تُبَالِي فِي يَدَيْ مَنْ كَانَتِ الدنْيا . (   )

إذَا رَأْيْتُم العَالِمَ يَلُوْذُ بَبابِ السلاطِيْنَ فاعْلَمُوا أنه لِص، وإذا رَأْيْتُمُوْهُ يَلُوْذُ بَبابِ الأغْنِيَاءِ فاعْلَمُوا أنه مُرَاءٍ . (   )

إن خَيْرَ الأمَرَاءِ مَنْ أحَب العُلَمَاءَ، وإن شَر العُلَمَاءِ مَنْ أحَب الأمَرَاءَ .

(   )

* * *

الفَهارِسُ المَوضُوْعِيةُ

التَّنْبِيْهُ الثالِثُ : ( )

التَّنْبِيْهُ الرابِعُ : ( )

التَّنْبِيْهُ الخامِسُ : ( )

البَابُ الثالِثُ : وفِيْهِ ثَلاثُ عَزَائِمَ . ( )

العَزِيْمَةُ الأُوْلى : ( )

العَزِيْمَةُ الثانِيَةُ : ( )

العَزِيْمَةُ الثالِثَةُ : ( )

البَابُ الرابِعُ : وفِيْهِ خَمْسَةُ عَوَائِقَ . ( )

العَائِقُ الأولُ : ( )

العَائِقُ الثانِي : ( )

العَائِقُ الثالِثُ : ( )

العَائِقُ الرابِعُ : ( )

العَائِقُ الخَامِسُ : ( )

* * *